

وادی الفوضى

(رواية)

تأليف: فريدريش دورينغ
ترجمة وتقدم: يسرى حسن

المكتبة
الاعلامية
القاهرة



المشروع القومي للترجمة



895

٥٠٥ x ٧٠٧٥

المشروع القومي للترجمة

وادي الفوضى

رواية

تأليف

فريدريش دورينمات

ترجمة وتقديم

يسرى خميس



٢٠٠٥

المشروع القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٨٩٥
- وادى الفوضى (رواية)
- فريدريش دورينمات
- يسرى خميس
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة رواية:

Durcheinandertal

Von

Friedrich Dürrenmatt

Copyright © 1989 by Diogenes Verlag AG Zürich

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة.

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House. El Gezira, Cairo

TEL: 7352396 Fax: 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة.

مقدمة المترجم

قراءة ذاتية جدا لوادى الفوضى

ليس نقدًا بالمعنى الأكاديمي، أى أنها ليست دراسة تحليلية وفق مناهج البحث الأدبي المختلفة، فالنقد الأدبي يحتاج لأدوات متعددة، أولها الدراسة المنهجية وليس آخرها المتابعة لما يحدث فى العالم من تيارات نقدية متعددة (هذا لا يعنى تطبيقها بالضرورة) واستيعاب ما بين الأول والآخر من تطور تاريخي وأدبي وفنى، بالإضافة إلى الحساسية الخاصة - بشرط توافرها - التى تفتح للنقاد أبوابًا كثيرة مغلقة، أعنى أن النقد بقدر ما هو حرفة، بقدر ما هو قدرات خاصة تبتعد كثيرًا عما هو حرفة وتقترب كثيرًا من حدود الإبداع والإضافة. وأنا لا يمكننى ادعاء أننى أمتلك أدواته، كما أننى لست متابعًا كما ينبغى للتحويلات النقدية السريعة فى العقود الأخيرة، من بنوية إلى ما بعد بنوية إلى تفكيكية مرورًا بالتناسل والنظريات السردية المثيرة بتفاصيلها وتداخلاتها وتخارجاتها، التى لا تخلو أحيانًا من ادعاء فكه وإشغافات أجدها طريفة.

فالنص الأدبي لا يمكن التمازج معه فى الفضاء! أى فى المطلق، منعزلاً عن الحياة، والمقصود بالحياة هنا = الإنسان فى المكان/الزمان، أى الانتماء لجماعة بشرية معينة لها خصوصيتها الثقافية، تعيش فى مكان جغرافى محدد، فى مرحلة تاريخية محددة بشروطها. أما أن يناقش النص الأدبي لذاته وبذاته ومن ذاته كنشاط فى اللغة، خارج سياقه التاريخى الثقافى - خارج الحياة - فهذا شئ يهمل ويهتم

به بعض النقاد الأكاديميين المتحمسين من منظورهم أحادى البعد.

من أجل كل ما تقدم ولأسباب أخرى، لا أعتبر ما أكتبه فى هذا التقديم نقداً، بل قراءة ذاتية جداً لشاعر عربى عاش نصف القرن العشرين وبدايات الحادى والعشرين يراقب ضمن ما يراقب ما تفعله الرأسمالية العالمية فى تاريخ الإنسان، هى محاولة لاكتشاف العلاقات والرموز والدلالات الممكنة فى عمل أدبى لكاتب يشغلنى عالمه بشكل خاص فى السنوات الأخيرة. إنها قراءة لنص أدهشنى وأمتعنى وأضاء لى أشياء، فتحمست لنقله لقراء العربية، محاولة للولوج فى عالم دورينمات المحيط الشامل الكاشف المعرى الفاضح الساخر المسخر الهازئ المهزئ المرح المقهقة، محاولة يمكن اعتبارها مدخلاً لقراءات أخرى متخصصة.

فريدريش دورينمات (١٩٢١ - ١٩٩٠): يعرف بالمنطقة العربية فى الأساس ككاتب مسرحى كبير من أهم كتاب المسرح فى القرن العشرين، فمنذ أن تعرف عليه العرب، وفتح لنا أستاذنا الكبير عبد الرحمن بدوى عام ١٩٦٣ الباب/البوابة، بترجمة مسرحية "علماء الطبيعة" ترجمت أغلب أعماله المسرحية الثمانية عشر إلى العربية، بل وعرض الكثير منها على خشبات المسارح العربية باستجابة ملفنة. ومثل هذا العدد من التراجم، لم يحظ به فى بلاد العرب سوى: وليام شيكسبير، وبرتولت بريخت، ثم فريدريش دورينمات. وربما يمكن إرجاع ذلك إلى اقتراب عالم دورينمات المسرحى من الوجدان العربى والمزاج المصرى بشكل خاص، القادر على السخرية من المفارقات والتناقضات فى القضايا الجادة التى تهمة.

والممتبِع لكتابات دورينمات، يجد بداياتها فى الدراما، حيث كتب
أولى مسرحياته

(كل شىء مكتوب ١٩٤٧/٤٦)، (الأعمى ١٩٤٨/٤٧)،
(رومولوس العظيم ١٩٤٩/٤٨) فى نفس المرحلة التى اهتم فيها
بكتابة الرواية (القاضى والجلاد ١٩٥٠) فى خط مواز مع إبداعاته
الدرامية المسرحية والإذاعية حتى آخر حياته، فقد كان يقول أن التنقل
بين كتابة الدراما والرواية بالنسبة له، مثل الشهيقي والزفير، بالإضافة
إلى كتابة الشعر والدراسات النقدية فى المسرح والفلسفة.

لكنه ليس معروفًا فى منطقتنا العربية ككاتب روائى، فلم تترجم
له سوى روايتين هما رواية (الوعد - ١٩٦٣) و(القاضى والجلاد -
١٩٦٨) قام بترجمتهما أحمد إبراهيم الأرعلى، هذا بالإضافة إلى
العديد من القصص القصيرة، التى كان يعيد كتابة بعضها فى أكثر
من شكل فنى آخر، مثل قصة (العطل Die Panne) التى أعاد كتابتها
كدراما إذاعية ثم انتهى بها الحال كمسرحية، أو (هرقل فى زريبة
أوجياس Herkules im Stall vom Augias) التى كتبها كدراما
إذاعية ثم أعاد كتابتها بعد سنوات كعمل مسرحى.

مثال مثير آخر ذكره الكاتب فى هذا المجال: "كنت أخطط لأن
تكون (زيارة السيدة العجوز Der Besuch der alten Dame) رواية،
لكن الرواية تحتاج لوقت طويل لكتابتها، ولأننى كنت مديونًا آنذاك
ومحتاجًا للنقود بشدة، كتبتها مسرحية، والمثير أنها درت على مبلغًا
كبيرًا من المال لم أكن أتوقعه، فقد عرضت فى بلدان كثيرة، لقد
كانت تلك المسرحية هى السبب فى ثرائى، أو فأنقل، كانت بداية

ثرائى، فقد أدت إلى تحول هام فى حياتى. يجب أن يكون عندك الكفاية من المال، حتى تكتب ما تود أن تكتبه".

الأعمال الروائية لدورينمات:

Die Stadt	1946	١. المدينة (لم تكتب)
Der Richter und sein Henker	1950	٢. القاضى والجلاد
Der Verdacht	1951	٣. الاشتباه
Grieche sucht Griechin	1955	٤. يونانى يبحث عن يونانية
Das Versprechen	1957	٥. الوعد
Der Pensionierte	1969	٦. المتقاعد (لم تكتب)
Justiz	1985	٧. العدالة
Der Auftrag	1986	٨. المهمة
Durcheinandertal	1989	٩. وادى الفوضى

القصص القصيرة:

Weihnacht	1943	١. ليلة عيد الميلاد
Der Folterknecht	1943	٢. الجلاد
Die Wurst	1943	٣. السجق
Der Sohn	1943	٤. الابن
Der Alte	1945	٥. العجوز
Das Bild des Sisyphe	1945	٦. صورة سيزيف

Der Theaterdirektor	1945	٧. مدير المسرح
Die Falle	1947	٨. الفخ
Pilatus	1947	٩. بيلاتوس
Der Hund	1951	١٠. الكاب
Der Tunnel	1952	١١. النفق
Der Alte	1954	١٢. العجوز
Die Panne	1956	١٣. العطل
Mister X macht Ferien	1957	١٤. عطلة مستر اكس
Der Sturz	1971	١٥. السقطة
Smithy	1976	١٦. سميثي
Das Sterben der Pythia	1976	١٧. موت بيثيا
Abu Chanifa und Anan Ben David	1976	١٨. أبو حنيفة وعنان بن داود

وادي الفوضى

بينما يرى بعض النقاد أن رواية (وادي الفوضى) رواية ينقصها البناء المتماسك والمفهوم الواضح حيث يقول عنها جيرهارد كنباب Gerhard Knapp أنها كومة مفككة تحتاج للكثير من الربط بين أماكن الأحداث وبين شخصيات الرواية، كما ينقصها التنظيم بشكل واضح، كما يرى جيرولف فريتش Gerolf Fritsch أنها رواية إنشائية باستثناء بعض الصفحات الأخيرة، يؤكد روسترهولتس

Rusterholz أن سوء الفهم هذا يرجع لعدم التعرف على بنية النص بشكل كاف ولعدم استيعاب هذا النوع من السرد، بينما يرى ستيفان جوتشى Stefan Goetschi أنها رواية تعتمد على الرمز الذى يطرح فى شكل فكرة مجردة تطمح إلى تفسير أحداث واقعية، ليعرض من خلالها فوضى العالم الذى نعيشه، فالترميز يعطى إمكانيات رحبة للتفسير على مستويات عدة، فى حين يقول الكاتب نفسه فريدريش دورينمات عن رواية وادى الفوضى أنها "رواية شديدة الأهمية، ربما أعتبرها أهم ما كتبت، وهى أكثر ما كتبت مرحاً!"

يرتبط النص بالتييمات الفلسفية والتيلولوجية والإنسانية التى شغلت وأرقت دورينمات طوال حياته، وأعاد صياغتها فى أكثر من شكل، وفى أكثر من عمل، فى أشكال أدبية وفنية مختلفة، سواء فى شكل مسرحى أو روائى أو كتأملات نثرية. لقد أخذت تلك التيمات تتداخل وتتبلور وتتسع لتشمل العالم كله ودراما الإنسان داخله، وكان من الطبيعى عندما يصل إلى هذا الحد، أن يطرح علاقة الإنسان بالكون، بالرب، ويتعرض لطبيعة هذه العلاقة الشائكة، المتعددة الوجوه والتجليات والمواقف، ويصل بها إلى الحدود بين المعرفة والعقيدة (فالذى يعرف، يعرف أنه يعتقد فقط، والذى يعتقد، يعتقد أنه يعرف. دورينمات) لقد كان الفكر الدينى يضغط على دورينمات طوال حياته، كما صرح بذلك ذات مرة مؤكداً أن كونه ابن قسيس قرية كونولفنجن Konolfingen بمقاطعة إيمينتال بسويسرا، التى ولد بها وعاش طفولته فيها، أحد الأسباب ولا شك.

انه يضع الكرة الأرضية، الكون، العالم، والحياة على مائدة التشريح، وبطرح على المستوى الفلسفى أعمق علاقة فى تاريخ الوجود البشرى (الرب، الإنسان) كمبحث معرفى تيولوجى تاريخى، يفككه فى تطوره ويشخص مكوناته وتناقضاته ويكتشف ديكالتيكه وتطوره فى الزمن وفى عمق الفكر الإنسانى، واصلاً فى تحليله لعنات شديدة الإثارة. فعلى المستوى السردى، يكشف لنا أن هذا العالم لا تحزمه خطوط الطول والعرض الوهمية، بل تحزمه شبكات من العصابات والسفاحين والمجرمين والقتلة، لا يرون فى أنفسهم سوى أنهم رجال أعمال يمارسون طرقاً غير تقليدية فقط، وأن المقر الرئيسى لهذه الشبكة - الشبكات - يستقر فى بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، وأن فروعها المتعددة تمتد وتنتشر فى أوربا، تحت مسمى مسيحى شديد البراءة: جمعية الأخلاق وأن الذى يديرها عن بعد ويتحكم فيها هو. الأب الكبير تلك الشخصية التى ظهرت أول الأمر كشخصية إنسانية ذات ملامح واقعية، تشرب اللبن من المغرفة فى أول سطور الرواية، ثم تتطور مع نمو الرواية، فتختفى ملامحها الإنسانية، لتصل فى النهاية لحالة من التجريد، الترميز الكامل، وتصير فكرة مجردة تتوازى وتقترب من الرب المسيطر. هذا الأب الكبير الذى هو دائماً فى صف الأثرياء، الذين يمارسون بشغف حياة الفقراء كل صيف فى المنتجع على قمة الوادى، حتى يكسروا ملل الغنى الفاحش، ويستمتعوا بنعمة تعاسة الفقراء، ويتخلصوا من تعاسة نعمة الأثرياء يقودهم إلى الإيمان ويبرر لهم كل ما يفعلون ويفتح لهم أبواب الجنة قسيس قاتل (موسى ميلكر)، تزوج من ثلاث نساء ثريات قبيحات، قتلهن جميعاً، كل واحدة منهن بطريقة غريبة لا تخلو من

خيال وسخرية، فقد كان يحلم بالثراء، مقتنعًا أن المال هو رب العصر، وأن المدخل الحقيقي للثراء هو الجريمة. كان قادرًا على الدمج بين تلك الازدواجية المرعبة: الدين والجريمة. وفي نفس الوقت الذى يقف فيه الأب الكبير دائمًا فى صف الأثرياء، لا يكلف نفسه أن يفتح ملايين الخطابات التى تصله مليئة بالرجاءات والتوسلات والتضرعات والأمنيات الصغيرة، بل إنه لا يرد عليها، ويأمر أحد مساعديه بإلقائها فى البحر، وعندما يمسك المساعد عن طريق الصدفة بأحد خطابات السيدة هونجربولر، المواظبة بإخلاص على أن تكتب إليه طلباتها البسيطة يوميًا منذ أن مات زوجها، يمسكه لا ليقرأه، بل ليشعل به سيجار الأب الكبير. بل أكثر من ذلك، فهو يعرف أن الكونت المزيف المزور فون كوكسن قد قام بتأجير المنتجع كمأوى لعتاة مجرمى العالم الذين يطاردهم مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية FBI ليختبئوا فيه بفصل الشتاء. وهكذا يربط دورينمات بشكل واضح بين الثراء والجريمة، فى إطار تفسير الفيلسوف كارل بارت Karl Barth لديالكتيك الفقر، الغنى "كعلاقة أساسية تفقد طبيعتها عن طريق الجريمة، والذى يفصل فى تحليله للديالكتيك التئولوجى، بين الإنسان والرب قدر الإمكان، مؤكدًا أن الرب هو الأصل الأساس اللانهائى، غير القابل للتفسير، وأن الإنسان لا يستطيع فهمه، بل يعتمد فى ذلك على نعمة الرب ورحمته، وأن التركيب بين الطرفين يتجسد فى شخصية المسيح. فكل فرد يكون لنفسه صورة معينة للرب، تختلف من فرد لآخر، فى محاولته لشخصنة الرب، وهكذا يتحول لمطلق، كامل، مكتمل، لا نهائى. وعندما سئل دورينمات، من يقصد بالأب الكبير؟ قال:

(أنا الأب الكبير نفسه، الذى ينفجر من الضحك بلا توقف على ما يحدث أمامى فى هذا العالم، وعلى ما يفعله البشر فى هذه الحياة. فقط عن طريق المرح، السخرية Humor من هذا العالم والضحك منه وعليه، يمكن للإنسان تحمل فوضى العالم ولامعناه، وأن يتقبل مصيره المحتوم بالموت فى النهاية. كما أنه أثناء الكتابة، يكون المرء دائما هو الأب الكبير، الذى يتحكم فى مصائر الشخصيات وفى الأحداث، ويحركهم كما يود كقطع الشطرنج).

وعلى الجانب الآخر أسفل الوادى، هناك جموع أهل قرية (وادى الفوضى) المهملة المنسية، التى تنتظر من الصيف للصيف، كى يتعيشوا من خدمة نزلاء المنتجع الأثرياء، وتأدية الأعمال المتواضعة المتدنية، كخدم غرف وشيالين وعمال مصاعد وسائقى سيارات أجرة وأعمال المطبخ وجمع القمامة، حتى هذا قد توقف بعد الفلسفة الجديدة التى حولت المنتجع إلى "بيت الفقر" كى يتطهر فيه الأثرياء بناء على نصيحة القس القاتل موسى ميلكر، والتى جعلتهم يخدمون أنفسهم بأنفسهم من أجل أن يستمتعوا بنعمة تعاسة الفقر. جموع البشر المضللة العاجزة المغلوبة على أمرها فى مواجهة درامية عنيفة لأثرياء العالم، فى مواجهة "المال" كقوة باطشة، كرب لهذا العصر، ليس كحالة المليارديرة كلارا تساخاناسيان فى مسرحية "زيارة السيدة العجوز" التى تشتري بمفردها أهل قرية جوللين وتفضح هشاشة القيم التى يتمسكون بها، لكنه هذه المرة "الرأسمال" الرأسمال العالمى المنظم الموجه المتشابك المترابط المرتبط بالجريمة والقتل كما يتجسد صارخاً فى انقسام شخصية موسى ميلكر، الذى يدعى للولايات المتحدة كى يحاضر الأرملات الفاحشات الثراء عن "تعاسة نعمة

الأغنياء ونعمة تعاسة الفقراء" قوة المال فى "زيارة السيدة العجوز" كانت تمثلها المليارديرة الوارثة كلارا تساخاناسيان وحدها كفرد، أما فى وادى الفوضى فهو يكشف لنا سيطرة الجماعة، العصابة، الشبكة، الطبقة الاجتماعية، الرأسمالية العالمية فى شكلها الجديد، الإمبريالية فى أعلى مراحلها. (كتبت الرواية عام ١٩٨٩، مع بدايات سقوط الاتحاد السوفيتى وصعود الامبريالية الأمريكية) وهكذا وقف حال أهل القرية وازدادوا فقراً، فاضطروا إلى سرقة جرس الكنيسة وبيعه، وتعليق جرس المطافئ مكانه.

غريب جداً أمر كنائس دورينمات تلك التى دائماً بلا ناقوس!! والذى دائماً يسرقه الفقراء ليتعيشوا بثمنه، مثلما حدث مع أهل بلدة جوللين فى مسرحية "زيارة السيدة العجوز" ومثلما حدث هنا مع أهل بلدة وادى الفوضى. ودائماً دائماً يضعون مكانه ناقوس المطافئ. هذه الجزئية البسيطة، المحملة بدلالات شديدة التكنيف والأهمية، فهنا يطرح دور الكنيسة، الدين جانباً، ويظهر عجز الكنيسة أو خفوت صوتها عن تنبيه الناس وإيقاظهم، كما أنه يكشف فقر الناس وعوزهم الشديد الذى يدفعهم لتجريد الرمز من قدسيته وسرقته وبيعه، فيدين التقسيم الطبقي للجماعة، كما يدين فى نفس الوقت قصور ممارسة الطقوس الدينية كبديل للحياة ومواجهة تعقدها، ثم يأتى ناقوس المطافئ كبديل هازئ، مما يوحى بوجود حريق ما، أو على الأقل بتوقع حريق ما، كما حدث فى وادى الفوضى.

وعمة البلدة، الذى لا حول له ولا قوة، والذى يتعيش من بيع لبن أبقاره لنزلاء المنتجع والمهمل لابنته (الزى) إهمالاً كاملاً،

والمهتم اهتمامًا زائدًا بكلبه مانى، فهو الوحيد القادر على التحاور معه، بعكس ابنته وزوجته من قبل أن تموت، والذى من خوفه عليه لم يبلغ عن اغتصاب ابنته، حتى لا يزج بكلبه فى التحقيق، حيث قام الكلب - دفاعًا عن الفتاة - بعض مؤخرة السفاح الذى اغتصبها. ومع ذلك فقد لفق له الكونت النصاب فون كوكسن قصة محكمة كاذبة تدعى بأن كلب العمدة قد قام بعض مؤخرة حارس المنتجع، وهكذا رغم لهات العمدة من مسئول لآخر، قررت الشرطة قتل كلب العمدة، وهنا يدخلنا دورينات فى مشهدين يصل بهما إلى أعلى درجات السخرية والجروتيسك، مواجهة العمدة وكلبه لشرطى النقطة صديقه لوستنفايلر المكلف بقتل الكلب، وكيف استحال عليه ذلك، ثم مداهمة مجموعة من رجال الشرطة لمنزل العمدة ومحاولتهم اغتصاب ابنته النزى، بعد أن أفرطوا فى الشراب، وتباروا فى ممارسة لعبة الضغط للفوز بها، بناءً على اقتراحها، وانهيارهم جميعًا وانصرافهم فاشلين ناسين مهمتهم الأساسية التى جاءوا من أجلها: قتل الكلب، مما جعل مسئول الحكومة يأمر بدفع فيلق كامل من جيش الوطن يتكون من ثلاث كتائب، لمحاصرة القرية بالدبابات وإرهاب أهل البلدة، من أجل قتل الكلب. ويقتل الكلب، الكلب المزيف، التمثال الخشبى الذى قد صنعه له عمدة البلدة بهدف تخليده. ويقابل العمدة أحد نواب مجلس الشيوخ ويحكى له القصة كلها ويفضح له النائب حقيقة أن الشرطة ورجال القضاء وجميع الأجهزة الحكومية على علم بما يدور فى المنتجع صيفًا وشتاءً، وأن أجهزة الدولة ذات العلاقة، متورطة ومتواطئة ومندمجة داخل الشبكة، الشبكات الرأسمالية.

والرواية كآخر أعمال دورينمات الأدبية، تضم تراكمات خبرة سنوات من الحياة والإبداع المستمر المتصل الذى لم يهدأ ولم يتوقف، وحياة فكرية ثرية عريضة عميقة، وتأمل دعوب مستمر، مما جعلها كأي عمل أدبي كبير، تحتوى على طبقات متعددة من مستويات الرؤية والطرح والتداخل والنقاط والتركيب، وهكذا تتداخل أحداثها فى بعضها البعض بشكل يبدو متناثرًا، غير مترابط، لكنها تسرد بقصدية تبدو عفوية، وتتمو وتتطور كبنية درامية محكمة. بنية بهذا الشكل المركب تزيد من صعوبة إدراك النص إدراكًا كاملاً والإحاطة به بشكل شامل، مما يتسق مع رؤية المؤلف، التى تؤكد استحالة الإحاطة بالحياة أو بالعالم، كما أنها فى نفس الوقت تزيد من مسئولية القارئ، حيث تكون مهمته اكتشاف الحدود والعلاقات بين الجاد والمآزح والسآخ داخل النص وطرح الاحتمالات المتعددة. فهى تضع القارئ فى فضاء مفتوح على الشك والاحتمالات وعدم اليقين، حتى بالنسبة للشخصية المحورية (الأب الكبير) الذى لم يره أحد، والذى يرى أحيانًا بشكل غير متوقع، والخط الواصل المضفر بينه كمحرك لعالم الجريمة وبين الرب عند القس المجرم، كما أن أغلب ما يقوله مجرد فرضيات، احتمالات لا يمكن التأكد منها، كذلك مكتب محاماة رافائيل، رافائيل، رافائيل، هل هم شخص واحد أم ثلاثة أشخاص؟ هل هى مروحية واحدة التى جاء فيها الأب الكبير ورجاله للقاء يرميا بليال ورجاله؟ أم أكثر من مروحية؟ ثم انعكاس الشخص على الجليد وتداخلها. إنه يلقي بالقارئ فى الشك بدلاً من اليقين، يفتح أبواب للتفكير، وللأسئلة، وللاحتمالات ويحمل القارئ، الإنسان المسئولية عن كل شيء، وعليه وحده تقع مسئولية أن يجد للعالم سببًا وللحياة

معنى، وكما يقول جوتشى، فإن الرب والإنسان يقفان فى الرواية بجوار بعضهما، دون أن يفهم أى منهما الآخر. فالإنسان يرى العالم من وجهة نظره الذاتية، التى هى بالكاد يمكنها أن تدرك جزءاً صغيراً من الكل. وعليه، يعيش الحياة ككارثة لم يتوقعها، وعليه أن يكافح من أجل أن يتحملها حتى النهاية.

ورواية (وادی الفوضى) تتأرجح باستمرار على الحدود بين الواقع والتخيل، تدخل وتخرج فى هذه المساحات الشاسعة المفتوحة بين الواقعى والتخيل، حتى تصل به إلى الأسطورى، السورىالى، فى إطار فلسفة (كما لو... Als-ob...) للفيلسوف هانس فايهنجر Hans vaihinger التى تؤكد ضرورة التخيل لتفسير المعرفة كما يقول جوتشى. فالأمكنة الأسطورية التى اختارها وتخيّلها المؤلف لبعض الأحداث، مثل اختيار أقصى أقاصى القطب الجنوبى ليتم فيه هذا اللقاء الأسطورى بين محركى العالم (الأب الكبير ويرميا بليال) فى أبعد نقطة متجمدة من العالم، داخله وخارجه فى نفس الوقت، هنا على الجليد، فى ذلك الهواء الزجاجى الذى يضيع فيه ثقل الزمن ويرتبك، حيث تنعكس صور الأشياء ولا تتطابق. حيث يوجد الشيء وظله، الشيء وانعكاسه، الشيء ونقيضه، يشربا سوياً القهوة ويديران مطاحن البن، كل يدير مطحنته، الواحد عكس الآخر، فتدور الكواكب والمجرات والكرة الأرضية، والعالم فى إطار لعبة متخيلة، شديدة السخف، لعبة المرايا والأضداد، تسيطر عليها روح المرح الساخر الملىء بالعبث والمرارة والأسى. إنهما ينقسمان دون أن يتلامسا، كما لو أن كلا منهما يرقد على ناحية من المصيدة أو الشبكة، التى تدور

فيها وعليها، الكواكب والكواكب الضد، بسرعة تفوق سرعة الضوء، حيث تختفى كل قوانين الفيزياء. ولقد اهتم دورينمات فى السنوات الأخيرة بالفيزياء كمصدر من مصادر المعرفة، التى لم يتوقف عن نقدها، كذلك بالعلاقة بين الفيزياء والميتافيزياء، فقد كانت فيزياء نيوتن تتكون من قوانين واضحة، يمكن صياغتها فى معادلات رياضية، أما الفيزياء الحديثة فقد حدثت من قوانين نيوتن، وشككت فى مدى صحتها، فقد قدمت النظرية النسبية مفهوماً جديداً للمكان والزمان، مما غير من تصوراتنا عن نشوء الكون. كذلك الفيزياء الذرية قد عملت هى أيضاً على الحد من صحة قوانين الفيزياء الميكانيكية، فبعد الوصول إلى "نظرية الكم" وتطبيقها على مستوى معارف الفيزياء الذرية، أصبح الحديث عن الدقة الرياضية للعمليات الفيزيائية غير ممكن، بل أصبح الحديث الآن ممكناً فقط فى إطار (حساب الاحتمالات (Wahrscheinlichkeitsrechnung).

والمكان الأسطورى الآخر فى فندق مجهول بجامايا، حيث يُطلق ثعبانين ضخمين فيثيرا الرعب والفرع والفوضى فى المكان الذى تأتى فيه أكوام البريد المليئة بالطلبات

والرجاءات والتوسلات من ملايين البشر البسطاء، ليلقى بها فى حمام السباحة دون أدنى اهتمام. والمنتجع نفسه، وما يدور فيه من أحداث ولقاءات، ومطبخ المنتجع الذى تحول إلى غرفة عمليات لتزوير وجوه السفاحين، كلها أماكن أسطورية غير واقعية فى تخيلها. النص بناء هندسى محكم، تتحول مادة الواقع فيه من خلال رؤية الكاتب ووعيه التاريخى إلى بناء أسطورى، فوق الواقع وتحتة،

منه واليه، بناء يقترب من الكاريكاتير، يقف على حافة الأسطورة، نص نفاذ لدرجة أنه يتقرب الواقع ويخرج من الناحية الأخرى للكرة الأرضية. إن دورينمات يضخم المشاهد والمواقف لدرجة يقف فيها على حدود الجروتيسك، ويصنع من تخيله هذا بناء أسطوريا غير واقعي، يبنى أسطورة حديثة، تجسد الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية السياسية بتفاصيل واقعية لا تخلو من تخيل مرح وترميز واضح وسخرية مفاجئة في جذتها تدعو للقهقهة بالفعل، إنه يخلق أسطورة معاصرة بكل مفرداتها، تركيبة فوق الواقع بمسافة بمسافات، لكنها داخله بكل رموزه، إنه يجسد فضيحة الوضع الإنساني في نهاية القرن العشرين، ويؤكد أن الفوضى هي الملمح الأساسي لهذا العصر والعالم، ويحذرنا دورينمات بشدة من قراءة هذه الرواية بطريقة جادة مترممة، فهي تتطلب من القارئ قراءة يغلب عليها المرح في نفس الوقت فيقول: "إنها رواية خبيثة مأكرة في مرحها، ويجب أن تقرأ ككوميديا وليس كتراجيديا".

إنه يحكى من موقع الراوى الذى يقف ويتفرج بحيادية، حيث تتدفق الجملة ولا تتوقف بإيقاع تيار جارف متماسك متداخل كالحياة نفسها. وكثيراً ما يتبع الكاتب في سرده أسلوباً يقترب من اللقطة السينمائية، في سياق أشبه بأسلوب التقطيع السينمائي، حيث تكون الصورة البصرية في مقدمة المشهد، مما يضطره أن يتغاضى عن التنقيط وتقسيم الجمل، حتى لا يشتت تدفق الصور المتعاقبة، وكما يقول الكاتب نفسه "الكتابة عندي لا تبدأ من اللغة، هي فكرة وبناء، وجهد للوصول لمفهوم معين، وهدم هذا المفهوم، إلى أن يتضح في

شكل معين، صورة، فالصورة عندى لا تخضع للفكرة، بل الفكرة هى التى تخضع للصورة. الصورة (الخامة أو المادة) تحتاج لترشيح، وتشكيل، وإعادة تشكيل، ذلك يحدث بشكل مستمر، حتى أصل فى النهاية إلى مرحلة اللغة، واختيار اللغة المناسبة ". يتداخل ذلك لدرجة كبيرة مع كون دورينمات ممارسًا مهتمًا للرسم طوال حياته.

وفى إطار التداخل النصى Intertextualitaet، تبعًا لمنهج ريناته لآخمان Renate Lachmann فى تحليل النص، يرى جوتشى أن رواية (وادی الفوضى) تتداخل بدرجة شديدة مع أغلب أعمال دورينمات السابقة، فالعديد من الأماكن والملاحم الأساسية لبعض الشخصيات تتسرب بنعومة داخل النص الأصلي، وتصير بمثابة جسر تربط النص الأصلي بالنصوص المرجعية الأخرى فى علاقات جديدة، كنوع من (الكولاج) الأدبى. لكن إلى أى حد وما هى العلاقة بين النص الأصلي والنصوص المرجعية من الناحية السيميولوجية؟

فبالإضافة لأعماله السابقة، يشكل الكتاب المقدس بعهديه: القديم والحديث، مع ديالكتيك كارل بارت التيولوجى (العلاقة بين الرب والإنسان)، ثم رؤية كيركيجارد فى عملية التوصيل غير المباشر، النصوص المرجعية الأساسية بالنسبة لدورينمات فى روايته (وادی الفوضى). وكما يقول كيركيجارد فإن المقولات التيولوجية تشترك مع المقولات الجمالية فى صفة أساسية هى: استحالة التوصيل المباشر. فمن المستحيل أن توصل الخبرة الذاتية لشخص بشكل مباشر، دون أن تموضع تلك الخبرة كمعرفة، الشيء الذى يعوق بدوره استقبال

الشخص للمعرفة بشكل ذاتى. فالمعرفة توجد فى مجال التوتر بين الذاتى والموضوعى. وهكذا فإن الرب كنتيجة (خبرة) للتفكير الذاتى، يستحيل أن يكون موضوعا للمعرفة الموضوعية (كيركيجارد).

فى نهاية الرواية، يفاجئنا دورينمات بجموع أهل البلدة، المهزومة على طول الوقت، كما لو أنهم واقفين يترجون على ما يحدث، مستسلمين كما لو أنه قدر إغريقى غير قابل للمناقشة أو التغيير، يفاجئنا بتغير الموقف، بعودة القاتل المحترف جو ماريجوانا، ابن القرية، بعد أن تستيقظ شخصيته الأولى: القس سيب بريتاندر ابن قس القرية بريتاندر، الذى يقف فى النهاية فى صف رجل الدين، و يلقى على أهل القرية فى الكنيسة المتداعية، موعظة من نوع جديد، مختلفة تمامًا عما تعودوا أن يسمعوا منه، موعظة أشبه بخطبة الجبل التى قالها المسيح (ما جئت لألقى سلامًا، بل سيفًا، وأنه أسهل على الجمل أن يدخل من سم الإبرة، على أن يدخل أحد الأثرياء جنة الرب!) موعظة يحرضهم فيها على الفهم والتيقظ، بل ويقودهم للتمرد، ويدفع أهل البلدة إلى حرق المنتجع، الرمز، الشر، الأشرار، إلى حرق فوضى العالم.

"ذات يوم، طرد الغرباء من هذا البلد بالعصى والحجارة

واليوم تتعيشون على ما يجود به الغرباء

البلد كلها بطولها وعرضها تتسول، تعيش على التسول

منذ أن عشنش الفقر وانتصر فى المنتجع

على يد مجموعة من كبار الأثرياء وعتاة المجرمين القتلة

لقد أفسد المنتجع حياة أجدادكم، وأجداد أجدادكم

كما أفسد حياة آباءكم وحياتكم
وحياة أولادكم وأولاد أولادكم
أكثر سهولة أن توقظ الموتى ، عن أن توقظ هؤلاء
بكسلهم وبلادتهم ورخاوتهم
فليكن المنتجع هو شجرة عيد الميلاد التى نشعلها
أشعلوا المنتجع!
حتى يحترق الشر والأشرار الذين يفسدون العالم
ويسببون له ولكم التعاسة
حتى يعرف الآخرون
أنه يوجد فى رؤوس أهل هذه البلدة شىء آخر غير القش
عليكم أن تفكروا بحق السماء!!"

عندئذ أحس أهل البلدة أنهم وحدة واحدة، شعب واحد، أكثر من
شعب، شعب يمتد فى التاريخ، قرية وادى الفوضى تخصهم، هم الذين
يأمرون فيها، إنهم هم أنفسهم منذ قرون، منذ آلاف السنين، منذ بداية
العالم، لم تصبهم رخاوة أهل العاصمة. وأشعلوا المنتجع حتى آخره.
قبل أن يكتب دورينمات رواية (وادى الفوضى) بسنوات عديدة
كتب يقول ما ينطبق تماما على هذه الرواية:

إن أعمالى تحكى فوضى العالم الذى لا ملامح له، تخلق نظاماً
من الفوضى. فالعالم الذى حولنا تسيطر عليه الفوضى، ومهمة الكاتب
(الأدب، الفن) هى محاولة تنظيم هذه الفوضى، أن يعطى هذا الشىء
الذى لا شكل له، شكلاً، أن يخلق من هذا العالم الغريب، شيئاً ملموساً

له شكل ما، فالعالم غريب عنا بشكل واضح، ونحن نحاول أن نعقد صداقة معه، أن نعقد أية قرابة بيننا وبينه، لكنه يظل غريباً، مخيفاً. لعالم الذى حولنا، لا علاقة له بنا، نحن الذين لنا علاقة به، نحن مرتبطين به، لكنه ليس مرتبطاً بنا. فكل شيء حولنا يفتقد المعنى. هناك مؤسسة الدولة، والدين، والفن، لكنها مؤسسات غير مترابطة، تسيطر عليها الشكلية، ويضيع فيها الجوهر. لذلك أصبحت مهمة الفن، أن تخلق مكاناً بالعقل، تتحد فيه الأشياء وتتربط، هذا وإلا سيتحطم كل شيء وينهار. لا بد أن نصل إلى الجوهرى، وسط هذا الضباب الذى نسميه الحياة اليومية. علينا ألا نحاول أن ننقذ العالم، بل أن نعمل على استمراريته، المغامرة الحقيقية الوحيدة، الممكنة المتبقية لنا فى هذا الزمن المتأخر."

يسرى خميس

القاهرة مايو ٢٠٠٥

اعتمدت فى هذه المقدمة على دراسة:

ستيفان جوتشى: "الرب والإنسان فى رواية وادى الفوضى" (علاقة
النظرية المعرفية والتبولوجية بين رواية وادى
الفوضى وأعمال دورينمات الكاملة)
كلية الفلسفة - جامعة زيوريخ - نوفمبر ٢٠٠٠.

Stefan Goetschi: "Gott und Mensch im Durcheinandertal"
(Erkenntnistheoretische und theologische
Beziehung zwischen den Roman
Durcheinandertal und dem Gesamtwerk
Friedrich Durrenmatts)
philosophische Fakultät, Zürich, November 2000.

وادی الفوضی

روایۃ

كان يبدو كأحد آلهة العهد القديم لكن بدون لحية. كان يجلس على سور الشارع المؤدى إلى المنتجع فى الوادى المضطرب. عندما رآته الفتاة، أوقفت مانى. كان الكلب ضخمة الحجم، أسود اللون أبيض الصدر، قصير الشعر، يجر العربة التى وضع عليها قسط اللبن وتمشى خلفها الفتاة. كانت الفتاة فى الرابعة عشر من العمر. فتحت القسط وملأت المغرفة باللبن واقتربت منه. لم تدر لماذا فعلت ذلك. أفرغ الإله الذى لا لحية له اللبن فى جوفه. فجأة أحست الفتاة بالخوف. أغلقت قسط اللبن بسرعة وعلقت المغرفة وأعطت مانى الإشارة، فجرى الكلب مسرعاً بالعربة صاعداً فى اتجاه المنتجع تتبعه الفتاة، كما لو أنه هو الآخر قد أحس بالخوف.

كان الرب الذى لا لحية له يتميز بمرح لافت. فبعد أن أبدى السيد موسى ميلكر ملاحظته، انفجر فى ضحك متواصل أربك الراقصين فى الحلبة، وشوش على العازفين التشيك الثلاثة (عازف البيانو وعازف الكمان وعازف التشيلو) مما اضطرتهم إلى التوقف عن العزف، إلى أن أخذه السيد موسى وأبعده. لم يهتز رمش للرب الذى لا لحية له. كان السبب فى تلك النوبة العارمة من الضحك التى

لم تتوقف، أن الرب الذي لا لحيه له اعتقد أن السيد موسى كان يقصده عندما كان يتحدث عن الأب الكبير، إلى أن اتضح له أنه لا يقصده بل يقصد الرب، الرب ذو اللحية. هكذا اتضح الموقف. من يومها كان موسى يكثر تجنب تاماً استخدام كلمة الرب وكان يستخدم بدلاً منها تعبير الأب الكبير، فلم يكن يمكنه أن يتخيل الرب إلا في صورة رجل عري عجز ذو لحيه كثة كثيفة، فمن حق الإنسان أن يصنع لنفسه صورة للرب كما يراه، رغم أن ذلك (لا يتفق تماماً مع حسه المسيحي العميق). إن ذلك أعداء العقيدة القادر على نسفها هو التجريس، فالقود لا يؤمن إلا بالله الخاص، كما أنه لا يمكن النظر إليه كشيء مجرد، لذلك كان يتجنب قدر استطاعته استخدام كلمة الرب، فهو يرى أنها قد استهلكته، وأن الأغلبية يرون فيها شيئاً غامضاً مبهماً غير محدد، أما بالنسبة لموسى ميلكر فقد كان الرب هو (الأب الكبير) لذلك لم يكن غريباً أن يربط الأب الكبير عندما رجاه موسى ميلكر أن يرعاه في كنف رحمة، وأن يباركه في بناء منتجع يستجم فيه أثرياء البلدة أصحاب الملايين البررة، كرد للجميل وعرفانا بالفضل والشكر له. وفي سياق الحديث، حقت دهشة الرب الذي لا لحيه له، كما فقد رغبته في الموح، لقد كان أكثر قوة من الرب ذو اللحية. لم يخلق العالم في ستة أيام، ولم يجد ذلك حسناً كما فعل الرب ذو اللحية، بل خلقه في دقائق، في ثوانٍ، في أجزاء من الثانية، بل في أجزاء من أجزاء الثانية، باختصار لقد خلقه فجأة وفي الحال وفوراً ووجده نكتة حسنة. وبشكل عام، لو استمع من المجال الديني، لكان الرب الذي لا لحيه له، أكثر جبروتاً من الرب ذو اللحية. فلا أحد يوجه إليه أسئلة تمتحن قدرته على خلق صخرة

ضخمة لا يمكن حملها، أو أن يغير شيئاً قد حدث بالفعل: إن سلطته وقوته وقدراته لا تعتمد على علم اللاهوت، بل تكمن فى استحالة الإمساك به. لم تحاول أية حكومة أو شرطة أن تتعرض له أو أن تحاول الإمساك به، فهو يعرف الكثير، وكثير من الخيوط فى يديه. من من العملاء الكبار لا يعرف رقم حسابه فى أحد من بنوكه، أو فى البنوك الأخرى التى يتعامل معها؟ أية شركة لا يمتلك فيها أغلبية الأسهم؟ أية عملية كبيرة لتهرب السلاح لم يكن له يد فيها؟ أية حكومة لم يقدم لها رشوة؟ وأى بابا لم يطلب مقابلته والمثول بين يديه؟ لا يعرف أحد من أين جاء. قصص وحواديت يتناقلها الناس، لا تخلو من خيال شعبى. يقال أنه جاء من ريجا أو من ريفال إلى نيويورك عام ١٩١٠ أو ١٩١١ وهو فقير معدم، حيث عاش عشر سنوات عجاف فى بروكلين. اشتغل فيها تزيّياً للقطّاطين، وفى فترة قصيرة سيطر على تجارة المنسوجات والأقمشة، لكن ثراءه الفاحش يرجع أساساً إلى مضارباته فى بورصة نيويورك أثناء فترة انهيارها فى أكتوبر ١٩٢٩، فقد اشترى كل الشركات التى قد أفلست. لم يكن أحد يعرف اسمه، فأطلقوا عليه اسم (الأب الكبير). كان يتحدث باللغة اليهودية القديمة، رغم أنه يعرف أكثر من لغة مثل سكرتيره جبريل، رجل ألبينو (عدو الشمس) لا رموش له، شعره طويل وأبيض، يرتدى حلة سهرة فراك، ويبدو دائماً فى حوالى الثلاثين من العمر، يتحدث كل اللغات بطلاقة، ويقوم بترجمة تعليمات سيده المقتضبة بلغته اليهودية القديمة للعملاء الذين يسألون الأب الكبير النصيحة أو الرأى. كانوا يفعلون ذلك بحيلة وحذر. وعن حق، فنصيحته يمكن أن تكون مفيدة، كما يمكن أن تكون خبيثة. فالأب الكبير لا يمكن تصنيفه أو

توقع ما يقول أو يفعل. كثيرون يعتقدون أنه كبير الساحل الشرقى والساحل الغربى، المسيطر عليهما كأحد مناطق نفوذه. أحد المناطق. لم يكن هناك دليل على ذلك. البعض يرون فى شخص ارميا بليال نائباً له، هذا الرجل الذى جاء من بخارى وأدخل تجارة السجاد فى شارع بيرنج. والبعض يعتقد أنهما شخص واحد، بينما يؤكد بعض المطلعين، أنه لا وجود لهما أصلاً هما الاثنان. كما أنه من غير المؤكد أن يعرف أحد، من هو هذا الرجل العجوز الصامت الذى جاء مع سكرتيره إلى هذا المنتجع الكبير المنسى فى وادى الفوضى، الذى تم بناءه فى منتصف القرن التاسع عشر، ليعيش فى أعلى نقطة فيه من البرج الشرقى. جاء بطريقة غريبة. فجأة كان هناك. قام النادل بخدمته هو وجبريل بشكل روتينى. اعتقد الجميع، حتى البواب ومدير المنتجع جوبلى أنهما من نزلاء المنتجع. لم يلفت نظر أحد، وعندما رحل، نسى الجميع أنه كان هناك. كان نزياً ضمن النزلاء. باستثناء الشكل، واضطرابات الجهاز الهضمى، القلب فى مكانه، وكذلك مرض السكر كان قادراً على تحمله. الغابات الساكنة الهادئة، المشى فى الطريق البديع إلى النبع، حيث المياه المعدنية الشافية، التى يشرب منها ثلاثة أكواب كل صباح، يصاحبه جبريل دائماً، كونشرتو الرابعة عصرًا والاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية المختارة بعناية كل ذلك كان مفيداً جداً بالنسبة له.

لم يتوقع أحد أن يكون الأب الكبير بين نزلاء المنتجع، كما أنه من المستحيل أن يعلم أحد بوجوده فى القرية بوادى الفوضى، والتى تتكون من عدة منازل على وشك السقوط. لقد اهترت الثقة فيه بعض

الشيء مرة ثانية. الآن يكتب له بعض النساء خطابات من عدة صفحات مليئة بالعواطف الملتهبة، ولا أحد يعرف مصير هذه الخطابات، هل وصلت للجزيرة أو إلى جنوب كاليفورنيا أو إلى غرب استراليا أو إلى قصر الملك هاكون في القطب الجنوبي، أم لم تصل بالمرة، وعلى أى عنوان قد أرسلت، فهي لا ترد لراسليها، كما أنه لم يرد عليها. وهكذا حافظت الأرملة العجوز السيدة هونجربولر على إرسال خطابها اليومي الذى يتكون من صفحة واحدة، فلقد كانت المرأة الوحيدة الثرية فى القرية. باع زوجها ايفو هونجربولر مصنع الأحذية الذى كان يمتلكه فى سانت جاليشن منذ أربعين عامًا، وكان الوحيد فى القرية الذى بنى لنفسه فيلا، لم تكن تتناسب حقيقة مع الوادى. وقد اعتبره زملاء الحرفة من أصحاب مصانع الأحذية رجلاً أحمق، لكى يبنى فيلا فى تلك القرية المهملة ليعيش هناك. والذى يؤكد حماقته، ذلك الذى حدث ليلة حفل تدشين الفيلا التى مرت بسلام، فافتعلت زوجته باربره هونجربولر شجاراً معه، عندما تسبب سيجاره المشتعل فى إحداث ثقب فى الستارة. عندها صرخت أمام المدعويين قائلة بلهجة خشنة: "انظر ماذا فعلت" ما أن انصرف آخر المدعويين، حتى انقض عليها زوجها ممسكاً بخناقها، مندفعاً معها من باب الصالون حيث سقطا معاً فى الحديقة. وعندما اضطر أحد المدعويين للعودة حتى يحضر مفاتيح سيارته التى نسيها، وجدهما راقيدين جنباً إلى جنب فى حديقة الفيلا. بعدها أكد الطبيب أن صاحب مصنع الأحذية ايفو هونجربولر قد مات، فلقد انكسرت رقبتة من السقطة، بينما الأرملة ما زالت تحيا، لكنها لا تستطيع الكلام. من يومها، وهى تكتب يومياً رسالتها للأب الكبير. أما القرية نفسها،

فيعيش فيها حوالى ثمانين عائلة فى مواجهة المنتجع، على الناحية الأخرى من الوادى، حيث يفصل بينهما النهر. كان الوادى يتميز بطبيعة خلابة، تحفة غابة كثيفة من ناحية الشرق، بينما ترقد الهضبة التى عليها المنتجع والحديقة وحمام السباحة وملاعب التنس فى الهواء الطلق. كانت الغابة متدرجة حتى السفح، أشجار الصنوبر فى الأسفل، تليها أشجار اللاريس وتنتهى بالجدار الصخرى عند جبل للتسلق. وفى المقابل، لم تكن هناك غابة تحمى القرية من الشمس، تتناثر هنا وهناك على الهضاب بعض الأكواخ بدون معنى، فى انتظار أن يعاد بناؤها، لكنها تقع فى عمق الوادى ولا تصلح للترحلق فى الشتاء. من العائلات المعروفة التى تعتبر من أوائل مؤسسى القرية، عائلة بريتاندر وعائلة زافانييتى. كان بريتاندر عضو المجلس القومى، وكان زافانييتى طبيب بيطرى المقاطعة. الآن أصبح بريتاندر يسمى عمدة القرية، قبلها بعدة سنوات كان هو القس الذى ييشر بكلمات الرب بصوته الهادئ، كيف يمكن للمرء أن يفهمه، إن كان بريتاندر نفسه لا يفهم ما يقول، قالها أحد الشماسين واختفى بعدها. وبعد موت العجوز بريتاندر، لم يتقدم أحد للقيام بتلك المهمة، فكان أحد المصلين من أهل القرية يقوم بها مرة فى الشهر، بالتناوب مع زوار الكنيسة الآخرين، فى مواجهة الأرائك الفارغة، التى نادراً ما كان أحد من المقاطعة يزورها بين الحين والآخر. كانت الكنيسة القديمة الآيلة للسقوط والتى تتسرب من سقفها مياه المطر، غير ذات أهمية حتى يمكن اعتبارها مبنى أثرياً من آثار المقاطعة، وكانت لا تستحق التجديد لقلة زوارها، بينما كان أسقف عاصمة المقاطعة، يخطط لأن ينشئ بالقرب من المنتجع كنيسة كاثوليكية صغيرة، رغم

أن أهل القرية كلهم من البروتستانت. كان مدير المنتجع ومالكه جوبلى ينتظر معجزة، فابنته ما زالت تعرج، والأمل معقود على روما. وهكذا لن تقام كنيسة كاثوليكية وسوف تنهار الكنيسة البروتستانتية بالتدريج، فنحن نحتاج للأخشاب. المرء يحتاج فعلاً للأخشاب، كثيرون يعيشون من تلك الحرفة، يصنعون طاوولات الفلاحين الخشنة، والدواليب والكراسى، كذلك يصنعون العصى ويصنعون من قرون الغزلان البرية عصى للشماسى، وعلى قرونها تعلق القبعات، كما يصنعون من القطع الصغيرة مطفئات للسجائر. كانت الكنيسة تلاحق منزل القس المتهم، الذى يستند بدوره على مقاهى القرية وباراتها "قمة الجبل" "السويسرى" " مجزرة الحديقة" "عند الجنرال جوبزان" إلى "الغزلان". وكان هناك فى مواجهة بيوت القرية، مخبز للحلويات وجراج للسيارات ودوار العمدة ونقطة المطافئ. كان المخبز يمد المنتجع بجميع أنواع المخبوزات والفظائر والجاتوهات، ويستضيف فى قاعة الشاى العديد من نزلاء المنتجع المرضى بالسكر، ليقدم لهم دون إحساس بالذنب، كميات كبيرة من الحلوى، كما لو أن ذلك من أصول اللياقة والكرم. أما الجراج فهو ضرورى، فموقع المنتجع البعيد يستوجب مكانا للسيارات. كذلك فإن زربية العمدة هى التى تمد المنتجع باللبن، صيفاً بالعربة وشتاء بعربة التزحلق، التى يجرها كلب ضخم الحجم أسود اللون أبيض الصدر، له رأس ضخمة. وكان العمدة لا يعرف من أين جاء هذا الوحش. لا أحد يعرف حقيقة، لم ير أحد كلباً بهذا الشكل. لقد كان ببساطة هناك، عندما دخل بريتاندر الزربية ذات مرة، فتمسح به الكلب متودداً حتى أوشك أن يوقعه. فى البداية انتاب العمدة خوف شديد منه ثم تعود

على الكلب تدريجيًا، حتى صارت حياته بدون نه مستحيلة. أخيرًا أصبحت لنقطة المطافئ فائدة، بعد أن أرسلت لها المقاطعة موتورًا جديدًا. ليس من أجل حماية القرية وأهلها، فماكينة ضخ المياه اليدوية القديمة تكفيها وتريد، بل من أجل المنتجع، الذي ركبت له خصيلًا مصلحة المياه بالاشتراك مع مصلحة الإنشاءات تحت الأرضية، ماكينات هيدروليكية على برجى المبنى الرئيسى. وكانت القرية تتعيش أساسًا من العمل فى المنتجع، تمده فى الصيف بالشغيلة التى يحتاجها، خادمت للمغسلة وخادمت للغرف، صبية للمصاعد، شيالون لحمل حقائب، جنائنية، عربجية، سياس للسيارات، وفى عيد أول أغسطس (يوم الاتحاد الرياضى) يتجول نزلاء المنتجع فى القرية، ويشترون بعضًا مما يصنعه الفلاحون من أعمال فنية شعبية بدائية. وعندما يحل فصل الشتاء، يصبح المنتجع فارغًا بلا نزلاء، فتعود القرية لتغرق تمامًا فى الإهمال.

اقترب موسى ميلكر هذا المساء من الرب الذى لا لحية له قبل أن يختفى. فى منتصف الليل تمامًا، كان الأب الكبير يجلس يراقب نزلاء المنتجع، وبجواره سكرتيره، فى الحقيقة، لم يكون النزلاء أثرياء بشكل فاحش، لكنهم كانوا أغنياء بما فيه الكفاية، الجميع صحتهم ليست على ما يرام، عرجى مصابين من التزحلق على الجليد، أزواج ترقص وتدور، أو تسترخى مرهقة فى الفوتيات. بينما كان الموسيقيون التشيك الثلاثة، الذين يأتون كل صيف إلى المنتجع، حتى أصابهم الملل من المنتجع ومن القرية ومن وادى الفوضى كله، يعزفون وهم نائمون، موسيقى التانجو الأخير والبوجى ووجى وألحانًا

من شوبرت، "فى خليج البورى"، "أغنياتى تتساب بهدوء"، "التجول هو متعة السيد موللر"، "فلتقدس مريم". كان موسى يشبه زنجياً أبيض جاء لتوه من الأحراش، قصير القامة يقترب من قزم، له شفتان غليظتان وشعر قصير مجعد يكسو لحيته. ربما كان السبب فى قهقهة الأب الكبير هى آراء موسى فى الدين التى تدفعه دائماً للضحك عندما يتحدث عن الرب ذى اللحية، أو ربما كان الدافع النفسى الذى أدى إلى موسى بالاهتمام بالدين، هو الذى فجر ضحكات رجل اختبر الحياة كالأب الكبير. نشأ موسى فى إقليم امينتال كابن غير شرعى لخدمة بروتستانتية، وخادم كاثولىكى. وكان اللذان قاما برعايته كطفل يتيم، واللذان كانا أقرب إليه من والديه الحقيقيين، سكيرين مدمنين، لكنهما لم يضرباه قط، بل كان يضرب كل منهما الآخر بعنف وبقسوة أثناء مشاجراتهما المتكررة، حتى يصيبهما الإعياء، فيعجزان عن ضربه هو. لم يكن سعيداً قدر ما كان تلك الليلة، التى أدمى كل منهما الآخر من الضرب، ساعتها غامره شعور غريب بالتخفف والأمان. فأخذه قسيس القرية. كان الوحيد الذى لا يخرف ولا ينام أثناء إلقاء الدروس الدينية. أرسله قسيس القرية إلى ملجأ دير سانت كريشونا التبشيرى فى مدينة بازل، ليتعلم ويصير مبشراً، لكنهم سريعاً ما غيروا رأيهم، مؤكدين أن منظره وحده كافٍ لأن يفزع الكفار، فتوقفوا عن مواصلة تعليمه. لكن موسى ميلكر كان يرى كفاراً من نوع آخر غير الذين تتكلم عنهم بعثة التبشير. لقد أضاعت له الطريق كلمات الإنجيل "مبارك هم المعتوهون البلهاء، فالجنة فى انتظارهم" فالسعداء هم الفقراء وحدهم، لأن الأب الكبير (يقصد الرب ذو اللحية) قد كتب عليهم الفقر، بعكس الأغنياء الذين يحتاجون لرحمة الرب

الواسعة، لكي يكونوا سعداء. وهكذا قرر موسى ميلكر، أن يقود الأغنياء إلى الهداية والإيمان. ولقد لفتت الأنظار عناوين كتبه العديدة "الغامض من الناصرية"، "الجحيم السماوي"، "الموت الإيجابي"، "الخطيئة الشجاعة"، وعلى وجه الخصوص كتاب "علم لاهوت الغنى". الذى رفضه بارت كلية، بينما كتب بولتمان أن الأمر بالنسبة له سيان، كيف سيدخل الجنة، هذا لو دخلها أصلاً، أما البعض فقد وجد فى كتابه عن لاهوت الغنى لاهوتاً للفقر، وذلك لاكتشافهم أن رحمة الرب لا يمكن حسابها أو توقعها. فالأشرار وحدهم هم المستفيدون من رحمته بدرجة أو بأخرى (لقد وصل كايتمان زنزمان إلى تفسيرات شاذة عن حياة مريم العذراء واستبعد من أجلها). وهكذا استبعد موسى ميلكر الفقراء من نعمة الرب، من الشيء الذى لا يمكن توقعه، إلى الشيء الممكن توقعه، حيث يصير الفقر فى حد ذاته هو الخلاص المقدس، بينما يكون فى نفس الوقت بالنسبة للبعض المبرر الوحيد للثورة، وهكذا تتساوى أفكار موسى ميلكر الدينية مع أفكار هيجل الفلسفية، وتتقسم إلى اتجاه يمينى واتجاه يسارى. لم يتخذ موسى موقفاً بخصوص هذا الأمر. كانت آراؤه الدينية تشبه وضع لوح من الخشب على هوة عميقة. ولأن الأبخرة كانت تتصاعد بلا توقف من تلك الهوة، نتيجة الصراع المستمر بين قبحه المنفر وشبقه الحسى الجارف، كان عليه أن يضع لوحاً خشبياً آخر على الهوة، عندما يتذكر زوجاته الثلاث اللاتى كان يحبهن لحد العبادة، المرحومتين اميلى لاوبر وأوتيلى رويشلى، وزوجته الحالية سيسيلى رويشلى، أخت أوتيلى. انه يدين بالشكر لثلاثتهن من أجل الفيلا الفاخرة التى يعيش فيها بإقليم امينتال أوب جرينفيل. كانت المرحومتان ثريتين

وقبيحتين، أما الثالثة فهي أشد ثراءً وأشد قبْحاً. الأولى كانت تمتلك مصنعاً للكاوتشوك، والثانية كانت تشترك مع أختها فى مؤسسة كبيرة لإنتاج السيجار، أما الثالثة، فبعد موت أختها صارت تمتلك وحدها مصنع السيجار. الأولى انكسرت رقبتهأ عندما سقطت من أعلى شجرة صنوبر، وهى فى حالة تقمص لشخص كبير الملائكة ميخائيل، والثانية غرقت فى نهر النيل فى رحلة شهر العسل. لكن موسى ميلكر لم يكن سعيداً بكل ما ورثه من ثراء فاحش، فلم يكن من السهل عليه أن يتزوج عن حب خالص ثلاث مرات، المرة تلو المرة من نساء قويات فاحشات الثراء وقبيحات. أحياناً كان يشعر بقلق غامض، فيأخذ سيارته الرولز رويس وينطلق بها، إلى أن يهدأ ويتعد عن شكوكه ووساوسه، ثم أعلن أنه فقير مسكين، بل أطلق على نفسه بالفعل اسم موسى المسكين. فنروته الحالية، يعود جزء منها إلى أرملته المباركتين، كما يحب أن يقول دائماً، وهما الآن سوياً فى السماء، والجزء الآخر يعود إلى سيسيلى زوجته الحالية، التى يحبها بنفس الدرجة. بل إن ما تدره عليه كتبه من مال يعطيه لزوجته، فلولا أموالها ما تمكن قط من نشر مجلداته الضخمة. الأب الكبير يرى كل شىء. كانت الألواح الخشبية تنهار فى الهوة دون توقف لوحاً وراء لوح. لم يكن يتخيل موسى ميلكر أن الرجل القبيح الشكل، له تأثير جنسى بشكل خاص على أجمل النساء. لقد كان شعوره الحاد بالنقص، سبباً فى إفساد علاقته مع امرأتين قبيحتين مثله من أصحاب الملايين، لقد كان بإمكانهما أن يكونا بسهولة علاقة مع رجال يتمتعون بحسن الطلعة. وما أن يغزو امرأة حتى تبدأ الهوة فى الفوران، ويطفو على السطح شك غامض، لم تقبله ايميلى لاوبر كزوج من أجل صفاته

كرجل، أو بسبب شبقه الجنسي الزائد تجاهها، لكن الذى غرر بها حقيقة كان موقفه من الدين، الذى كان يساعده دائماً فى الخروج من مستنقع عقده، بل كان السبب فى أن توهم ايملى نفسها بأنها كبير الملائكة ميخائيل، مما أثار غيظه لدرجة كبيرة. لقد كان الأب الكبير يعتقد أن موسى ميلكر قد ساهم لحد ما فى سقوط زوجته من على شجرة الصنوبر، ربما صعد خلفها على نفس الغصن، أو ربما قام بنشر الغصن الذى كانت تجلس عليه (فمن يجرؤ على أن يتقصى ويبحث خلف رجال الدين) لكن الأب الكبير كان متأكداً أن موسى ميلكر هو الذى ألقى بزوجه الثانية فى نهر النيل. كان حلمًا جميلاً بالنسبة لأوتيلى، أن يتضمن شهر العسل رحلة نيلية من أسوان إلى الأقصر، تزور فيها معبد أبو سمبل. فى مواجهة تمثال رمسيس الثانى، كان موسى ميلكر يبدو كالقرد المشوه الملعوب فى جيناته. كان الأب الكبير يرى فى أوتيلى رويشلين امرأة ثرية قوية متسلطة وقبيحة، وكان الأب الكبير يحترمها بقدر ما كان يسخر من موسى ميلكر. كان يحب استقلاليتها، فقد كان بإمكانها أن تنشأ علاقة مع أى رجل يحلو لها، فمن يرفض أن يشارك مليونيرة فى ملايينها. فلو أنها تزوجت من رجل جميل الطلعة، فسوف يؤكد ذلك قبحها ويظهره أكثر، أما موسى فهى لا تعطيه أية أهمية. لم يكن سهلاً على موسى أن يتحمل بشكل مستمر هذا الشعور بالإهانة. كانت أشعة القمر تنعكس على صفحة النيل بالقرب من إدفو، وكان موسى وأوتيلى وحدهما على ظهر السفينة. كاد موسى أن يسقط وراءها، لولا حذره الشديد. لم يسمع أحد صوت سقوطها وارتطامها العنيف بالمياه. داهمتها المفاجأة لدرجة أنها لم تتمكن من الصراخ. محملة بمجوهراتها الكثيرة، هوت

فى الماء كحجر كبير. نسى موسى ميلكر ما قد فعله مؤقّتا. لقد وصلت ألواح اللاهوت الخشبية إلى قاع الهوة. ذهب إلى مقصورته وابتدأ فى كتابة كتابه ذائع الصيت "محروس من ملكين" الذى ترجم إلى أكثر من ثلاثين لغة، وحقق أعلى المبيعات، عرفانا وإهداءً لروح زوجتيه المقتولتين. وفى ظهيرة اليوم التالى، أبلغ القبطان بعد تردد، بغياب زوجته. فبحثوا وبحثوا ولم يجدوا شيئاً، ولم يشك فى أحد. كان حزنه حقيقياً. وانتهى الموضوع بالنسبة له. وعند عودته إلى الفيلا ودخوله غرفة النوم، تذكر تفاصيل كل ما حدث. فى فراش الزوجية، كانت ترقد امرأة ضخمة ذات لخد متهدل وثديين كبيرين بشكل مبالغ فيه، إنها سيسيلى رويشلىن أخت زوجته، ترقد مرتدية قميص نوم حريرى شفاف، وتضع على بطنها عدة علب شوكولاته، وتدخل السيجار وتقرأ رواية بوليسية. نظرت سيسيلى رويشلىن إلى موسى ميلكر، واصلت القراءة وهى تدخل. نظرتها، أكدت لموسى أنها عرفت كل ما حدث. انزلق بجوارها فى الفراش وكان زواجه الثالث.

ليست سوى فرضيات بالطبع لتفسير ضحكات الأب الكبير وقهقهاته، تماماً مثل الجنين فى عمق لاشعور رجل الدين، ليست أيضاً سوى فرضيات. العالم ليس سينا لهذه الدرجة كما يعتقد الأب الكبير، ولو أنه فى الحقيقة أكثر سوء. ومن الواضح أن القصة التى تحكى هنا قصة مركبة متداخلة، حيث تتولد القصة من قصة ثانية وتتداخل مع قصة أخرى، لكنها ليست مجموعة قصص لا رابط بينها. لذا علينا أن نبحث عن سبب آخر لقهقهات الأب الكبير، ربما يكون موسى وزيجاته الثلاث أو موسى كرجل دين، هذا محتمل. على

أية حال، لقد أخذ رأى أحد المحامين الثلاثة رافائيل ورافائيل ورافائيل بصرف النظر أيهم، فلا فرق بينهم. ولا أحد يعرف أن يميز بينهم، الرئيس الكبير أم الرئيس أم الرئيس الصغير، وحتى فى مكتب المحاماة بشارع مينرفا ٣٣ بمدينة زيوريخ لم يكن أحد قادراً على التحديد، البعض يؤكد أنه لا يوجد سوى رافائيل واحد فقط، والبعض يؤكد أن الرئيس الكبير والرئيس توأمان يستحيل التمييز بينهما، بينما الرئيس الصغير قد مات منذ فترة، وآراء كثيرة أخرى. لم يعرف أحد من الذى ركب الطائرة، ولم يعرف الذى ركب الطائرة إلى أين تتجه الطائرة، فهو كثير الترحال إلى أماكن متعددة، لكنه لم يعرف قط من الذى عليه أن يقابله. فالطائرة بلا نوافذ، ومن غير الممكن أن يجلس فى كابينة الطيار، عند الإقلاع وضع له منوم فى الشمبانيا التى قدمت له، دون أن تلاحظ المضيفة نفسها ذلك. وكان ممر الهبوط الوعر التى هبطت فيه الطائرة هذه المرة يحاذى ملعباً للجولف. وعندما خرج المحامى من الطائرة وجد نفسه واقفاً على بساط أخضر. فى كل مكان توجد مضارب للجولف، أغلبها يعلوها الصدا، كما توجد كرات كثيرة للجولف. كانت الشمس على وشك الغروب. فى نهاية ملعب الجولف، كان هناك مبنى أبيض اللون له قبة تشبه قباب الفاتيكان، يقع على حافة الشاطئ المتعرج مباشرة، وكان المبنى مهملاً لدرجة ملفنة، كما يبدو من نوافذه المحطمة. من المؤكد أن هذا المبنى كان ذات يوم فندقاً، كانت العناكب تعيش فى القاعات الخاوية، والطيور تبني عشوشها على حواف النوافذ والأبواب، فى أحد الممرات كانت هناك حشرة ضخمة، عنكبوت بحجم اليد، وكانت دورات المياة فاخرة المظهر، لكنها شديدة القذارة.

تحت القبة توجد قاعة الاحتفالات، يتوسطها بوفيه فاخر، نصب منذ
شهور كما يبدو، فلقد كان الطعام متعفنًا يغطيه الذباب. كان المحيط
أو الأطلنطي عميق الزرقاء، تخف زرقته تدريجيًا تجاه الأفق. عربة
تليفريك تتحرك بصعوبة في اتجاه البحر، تقابلها عربة أخرى في
اتجاه مضاد. على الشاطئ، يرقد رجل يرتدى بنطال سهرة سموكنج
قديم، بينما نصفه الأعلى عاريًا، ملينًا بشعر أبيض أشعث، يغطي
وجهه بقبعة مكسيكية من القش. ربما كان هو الأب الكبير، وربما لم
يكن هو الأب الكبير. كان ينام على مرتبة تبرز منها خصل من شعر
الخيول. أمام الرجل النائم، يقف رجل نحيف لا يرتدى سوى بالطو
أبيض، منهمك في تجهيز حقنة، كان هذا الرجل أصلًا تمامًا، يضع
على عينيه نظارة نصفية مذهبة بدون إطار، تشع خلفها عينا
زرقاوان، فيبدو كأحد شخصيات لوحات الجريكو. على الشاطئ،
مجلات فاضحة مبتلة، "أطلس ستيلر القديم لأجزاء الأرض وبنيات
العالم" الصادر عن دار نشر يوستوس بيرتيس عام ١٨٩٠، "موسوعة
ماير للحوار" في ١٨ جزء، الصادرة عام ١٨٩٣ - ١٨٩٨ "فلسفة
الفرش" للمركز دي صاد، عدد هائل من دليل التليفونات، "العقيدة
الكنسية" لكارل بارت، الجزء الثالث "تعاليم الخلق: عن أحكام الرب"
كومة من تقارير البورصة، مجلة "در شبيجل" الألمانية، الموسوعة
العبرية الكاملة:

"Biblia Hebraica ad optimas, editions imprimis Evardi Van
der Hooght"

كومة من المجلات القديمة، وتلال من الخطابات المفتوحة تغطي الشاطئ كله، ترتطم بها الأمواج، يتلألأ وسطها عدد لا حصر له من ساعات الجيب وساعات اليد، من الصفيح ومن الفضة ومن الذهب ومن البلاتين. تصعد الشمس في السماء. لم يكن المساء بالتأكيد، بل صباح يوم جديد. التيليفريك يصعد ويهبط محدثاً أزيزاً، ينزل منه رجل ألبينو (عدو الشمس) ذو شعر أبيض، يرتدى حلة سهرة سموكنج، ويفرغ من سلة مهملات كمية خطابات مغلقة إلى كومة الخطابات المغلقة الأخرى. التيليفريك يصعد ويهبط ثانية محدثاً أزيزاً مزعجاً. يستيقظ الرجل من تحت القبعة القشية المكسيكية، ويبدأ في الضحك. يقوم الرجل النحيف الأصلع بحقنه فينام الرجل تحت القبعة القشية المكسيكية. يصعد المحامي إلى التيليفريك ويبدأ في التحرك.

عودة لشارع مينرفا، تذكر المحامي لماذا طلبه الأب الكبير (إن كان هو فعلاً الأب الكبير). لقد قرر شراء المنتج بكل مشتملاته، رغم أنه لا يعلم من أين هبطت عليه كل هذه الثروة فجأة، وما هو مصدرها، حتى جوبلى نفسه مدير المنتج، لم يكن يعرف لماذا كان عليه أن يبيع المنتج، لقد أسسه أحد أفراد عائلة جوبلى، وتولى إدارته فرد آخر من عائلة جوبلى، وهو يديره الآن كأحد أفراد عائلة جوبلى، والمنتج يدر أرباحاً لم يدرها من قبل، كما أنه يشعر بمسؤولية ما تجاه أهل القرية، لكن المبلغ الذى عرضه عليه محامى عاصمة المقاطعة بشارع مينرفا كان مغرياً لدرجة، أنه قبل شروطه كلها دون مناقشة، على أن يخلى المنتج الذى عاش فيه طوال تلك الفترة، ويسلمه له بعد موسم الصيف مباشرة. أخذ جوبلى القطار

للبحث عن طريقة ما لتخفيض الضرائب، أما المحامى فقد اتضح له الموقف بعد اتمامه صفقة شراء المنتج: كانت خبطة معلّم بالنسبة للكونت فون كوكسن، لم يقدرها المحامى حق قدرها من قبل. الشىء المحير بالنسبة للمحامى، أنه تذكر فجأة أنه يوجد كونت بهذا الاسم، أتى من ليشتنشتاين، تلك الدولة القزم التى تبلغ مساحتها ١٦٩ كيلو متر مربع، والتى تتميز بأنها تفرض ضرائب زهيدة جداً، لذا فهى تجذب الأثرياء كمغنطيس بأموالهم الطائلة. كان الكونت فى حوالى السبعين من عمره، يقود الجيل الوسط لعائلة بيبين، التى تمتد جذورها إلى جد جده كارل العظيم، كان يقول عن أمراء ليشتنشتاين أنهم بالكاد يقتربون من النبلاء. كان بديناً ضخّم الجسم، متأقفاً أناقة كلاسيكية غير عصرية، يضع مونوكل على عينه، وباروكة شقراء على رأسه، ومع ذلك كان منظره مقبولاً، لا يثير الضحك. وكان أوسكار، ابنه بالتبنى، ليس أقل أناقة منه، لكنه يرتدى ملابس عصرية. إنه ينتمى لهؤلاء الذين لا يتميزون بأية خصوصية، فجميعهم متشابهون. فالعالم يضحك بهذا النوع من الرجال ذوى القوام المشقوق الذين يحلقون ذقونهم بشكل زائد النعومة، ويتعطرون بفجاجة، ويرتدون رباط عنق على ملابس داكنة، ويفرقون شعرهم بعناية مثل أوسكار. كان يعمل فى محل كوكسن لبيع الكتب والأشياء القديمة بمدينة فادوز، يبيع فيه أثاث النبلاء النمساويين الذى حط عليهم الفقر، كما كان يبيع طوابع بريد مقاطعة ليشتنشتاين التى بها غلطة مزيفة، وإذا طلب أحد الزبائن أشياء نادرة أخرى، يأخذه السائق إلى القصر الصغير بحى الأخوات الثلاث (من يعرف جغرافية ذلك البلد القزم) حيث يعيش الكونت وسط كنوزه الشهيرة المدهشة، لوحات تيزيان، وروبنز، ورمبرانت،

وبرويجل، وجويا، والجريكو، جميعها مزيفة، ومعتمدة بشهادات من متخصصين عالميين، وربما كانت أصلية. كان الزوار يتجولون فى القاعة وهم يرتعشون من شدة الحذر كما لو أنهم فى محل لبيع القنابل والمفرقات. وكانت أسعار اللوحات المزيفة مرتفعة جدًا، من يدرى، ربما كانت أصلية، وهكذا كان الزوار مستغرقين تمامًا فيما هم فيه، لدرجة أنهم لم ينزعجوا من نباح الكلب الذى اقتحم القاعة آتياً من حديقة القصر، فلقد كان الكونت يمتلك مزرعة كبيرة لتربية الكلاب من سلالة الدوبرمان، التى كانت ذات شهرة كبيرة، تمامًا مثل لوحاته المزورة. أما ذلك الخلاف الذى حدث بينه وبين ابنه بالتبني بخصوص وضعه لوحة فرانز هالس المزورة بالمقلوب، صورة قسيس من المينونيت (جماعة بروتستانتية تتبع مينوسيمونز) بشفاه غليظة ولحية قصيرة مجمدة الشعر، ربما كان بسبب ادجار الذى كان يقف فى المحل ويبتسم للزبائن بدلاً من أوسكار، وكثيراً ما كان الزبائن يخلطون بين الاثنين. سبب تافه بالنسبة لما حققه ادجار: فبعد أن قام بترميم اللوحة، حازت اللوحة على شهادة موثقة تؤكد أن لوحة فرانز هالس لوحة أصلية، وعليه، اشترتها مؤسسة جولبينكيان بأربعة ملايين دولار، وعليه تبنى أيضاً ادجار.

استمرت نشوة الكونت بأنه من أنجح الرجال فى مجال عمله حتى نهاية شهر نوفمبر فقط. فى شقة متواضعة، استقبله رجل صغير الحجم من أصل آسيوى يصعب تحديده، قرغيزى أم منشورى أم تركمانى سيان، يلصق على صلغته خطوطاً من الشعر الأسود كما لو أنها مرسومة بالفحم، يبدو بملابس المطبخ الضيقة التى يرتديها وأظافره المتسخة السوداء، كما لو أنه خرج لتوه من مدخنة المدفأة،

التي يجلس بجوارها. ولقد حاول فون كوكسن أن يخدع هذا الرجل شديد الثراء ذى الأصل الآسيوى الملتبس، منظم المداخل، فى بيع لوحة مزيفة لجويا. المرة الأولى التي لم يكن فيها حريصا كما ينبغي، والتبست عليه إشارة مكتب محاماة رافائيل ورافائيل ورافائيل فى زيورخ شارع مينرفا ٣٣، بأن أحد الزبائن مهتم باللوحة. كان درسا قاسيا، كارثة بكل المقاييس. فلقد كان منظم المداخل هذا يعرف كل شىء، ليس فقط عن الكونت، بل عن ليشتنشتاين بأجمعها، لدرجة أن الكونت كان ينتظر أن تداهم الشرطة فى أية لحظة. لذلك ضحى بالأربعة ملايين التي كسبها من مؤسسة جولبينكيان وبصورة جوية المزيفة لمنظم المداخل. أخذ الكونت سيارة أجرة وهو فى حالة غضب شديد وانطلق إلى شارع مينرفا ٣٣، كانت فيلا قديمة على وشك السقوط، تحيطها بعض أشجار الصنوبر. وكان المونوكل على عين الكونت يشع بشكل يوحى بالخطر. فتح له الباب شاب صغير ذو شعر أحمر. وجد الكونت نفسه فى حجرة مهمة مشقة الجدران، يجلس فيها ثلاثة محامين الواحد مقابل الآخر، رؤوسهم تتشابه تماما، ويستحيل التفريق بينهم إلا بلون الشعر: أحمر، وأبيض شائب، وناصع البياض، رافائيل ورافائيل ورافائيل. كان أصغرهم ألثغ اللسان، وأوسطهم ذو صوت خشن، أما أكبرهم فكان دائب الانشغال بجهاز سمعه، الذى كان يصدر صغيرا بلا توقف. جلس الكونت. افتتح الألتغ الجلسة، فشكر الكونت وأخبره أن وكيلهم فى نيويورك قد باع لوحة جويا بعد أن ثبت أنها أصلية فى مزاد كريستى بمبلغ اثنا عشر مليون دولار. وقال الآخر ذو الصوت الخشن أن الكونت كوكسن قد اختير لثبوت حرفيته العالية فى التزوير، كعضو دائم فى أول نقابة بالولايات

المتحدة الأمريكية، بناء على توصية من مكتب رافائيل ورافائيل ورافائيل، ونرجو ألا يكون للكونت أى اعتراض على ذلك. ثم أكمل أكبرهم بكلام غير مفهوم، فقد كان فكه يؤلمه وقال: يمكن لكوكسن أن ينصرف.

كان مكتب محاماة رافائيل ورافائيل ورافائيل مشغولاً بقضايا أخرى، فلقد اجتذب بعض المحامين للعمل معه كمستشارين من المجلس المحلى ومن المجلس القومى ومن المجلس الاتحادى، لتبادل الخبرات الادارية. كانت نشاطات الأب الكبير واضحة بالنسبة لرافائيل ورافائيل ورافائيل، لكن بعض المحامين العاملين معهم ألقوا بظلال الشك فى وجود جريمة ما، صورة مخففة، أخذت تخف وتخف تدريجياً حتى انتهت تماماً، اختفت، وصار لها وجهاً إنسانياً، فالأمر لا يتعلق فى الحقيقة بصورة ما، إنما يتعلق بفكرة غير واضحة لاتحاد غير ملزم لفاعلى الخير من أصحاب الملايين، والتي توازى وتعمل مع جمعية بوسطن للأخلاق The Boston Society for Morality التى تأسست فى كوكس. بعد هذا الانتشار الهادئ الإيقاع، تم تكوين لجنة شرفية برئاسة أحد أعضاء المجلس الاتحادى وعضوية بعض المستشارين من المجلس القومى، ومن المجلس المحلى، ورجال بنوك، وشخصيات عامة فى المجتمع، وأستاذ فى علوم الدين، دون أن يعلم أحد منهم ما هو دور هذه اللجنة بالضبط. وكانت مهمة جمعية بوسطن للأخلاق مهمة غير واضحة، كأغلب الجمعيات الخيرية. فقد احتار السادة فى الجمعية العمومية لتأسيس الفرع الأوروبى للجمعية، فلم يكن يعلم أحد بأن الفرع الأمريكى لا وجود له أصلاً. ثم قام

عضو مجلس الشيوخ بتوقيع وثيقة إشهار الجمعية باسمه كرئيس لمجلس الإدارة، وأكد فى كلمته أن المهم هو إنشاء جمعية للأخلاق على أرض أوروبية، بصرف النظر عن أسباب تأسيسها وعدم وضوح أهدافها، فسوف تتضح بمرور الوقت.

لقد نسى موسى ميلكر مقابلته مع الأب الكبير، كثيراً ما يزعجه هذا الإحساس السخيف، عندما ينسى مثل هذه الأشياء الهامة. فلقد فقد الأمل فى مشروع إقامة منتجع لأصحاب الملايين. فعندما تهتز الأرض وتترزّل، ويعم الطوفان، وترعد السماء، وتتهار الجبال، وتتفجر البراكين، يهب الجميع وتتملكهم رغبة عارمة لمساعدة الآخرين وفعل الخير. حينئذ تجمع التبرعات، وتتشط الإذاعات، وتعلن بلهجة المنتصر عن اكتمال المليون الأول، ٢ مليون، ٢ مليون ونصف، ٣ مليون، الكل يساهم، الموظفون، تلاميذ المدارس، المطربون يتبرعون بسهرات غنائية، الكتاب يتبرعون بألمسية دون مقابل، الفنانون يرسمون، مؤلفو الموسيقى يؤلفون مقطوعات أسيانة حزينة، العالم يذوب من التأثر والشفقة، أما عندما يقع مليونير فى أزمة ما، تجد الأب الكبير (ذو اللحية) يقف بجواره، دائماً يقف مع الأغنياء. لكن الأب الكبير الذى لا لحية له، يعرف كيف يفرق بين الأمور. أما موسى فلا أحد يواسيه وعليه أن يواسى نفسه، رغم أنه هو أيضاً مليونير. يرجع الفضل فى ذلك إلى زوجاته الثلاث، وإلى زوجته الثالثة الحالية بشكل خاص، التى ترهبه وترهقه وتعذبه، وهو يتحمل كل ذلك. إنه الحب، كما يوهم نفسه، لكنه فى حقيقة الأمر الخوف وليس الحب. فسيبلى ميلكر رويشلى تعرف عنه كل شئ.

حتى قصة ليزى بلاتر فتاة الحانة (حانة الدبية) فى الأسبوع الأول من وصوله إلى المنتجع. ليلة السبت. خرج موسى عن صوابه، واهتزت ألواح الخشب على الهوة إياها وارتجت، وهوت وسقطت كلية. فمن الذى يقدر على اغتصاب فتاة وإلقاء جثتها فى الترعة. كان يتمشى فى ذلك المساء. كما أنه لم يكن اغتصاباً، بل إن ليزى هى التى لم تكف، وقالت له أنها تفهم أن رجلاً فى مثل عمره لا يمكنه أن يشبعها، فهو قد استهلك. فانقض عليها وخنقها بيديه. لم يكن حكيماً عندما ألقاها فى الترعة. "لن تتألنى قط" قالتها وهى تضحك لسيمو خادم ايجلر، الذى كان يقف على الجسر، بينما كان موسى يقف على شط الترعة متوتر الأعصاب. تأمل الجثة طويلاً وهى فى الترعة. ابتدأت نواقيس الكنيسة تترع فى جرينفيل ثم فى مائن ثم تلتها بعد فترة نواقيس كنيسة قرية بوبندورف. بوبندورف تتأخر دائماً. ثم سمعت أصوات نواقيس نيدرآلمن، كما يحدث فى الجنازات. كانت الدموع تسيل على خد موسى ميلكر، بينما تتساب مياه الترعة فى هدوء. لم تكن الترعة عميقة. كانت ليزى ترقد فى نتوء على شط الترعة. حولها تسبح الأسماك، وأحياناً كانت الجثة تتحرك. توقفت أجراس كنائس قرية جرينفيل ثم تبعتها أجراس كنائس القرى الأخرى، ما عدا أجراس كنيسة قرية نيدرآلمن التى ما زالت تسمع، فلقد كانت هناك صلاة لوحدة الكنائس. وعندما عاد موسى للجسر، كان سيمو ما زال واقفاً هناك، فوقف بجواره، نظر الاثنان إلى الترعة، كانت الشمس قد اختفت خلف التلال. اندفعت جثة ليزى إلى مياه النهر الذى تصل إليه الترعة، همهم سيمو ببعض آيات الإنجيل. الآن، توقفت أيضاً أصوات أجراس كنيسة قرية نيدرآلمن، وابتدأت

صلاة الوحدة. كان الثراء يتقل على موسى ميلكر ويضغط عليه. لقد تزوج من ايميلى لاوبر وأوتيلى رويشلى وسيسيلى رويشلى القبيحات، وليس من أنثى شهية مثيرة مثل ليزى بلاتر، التى انسابت جثتها بنعومة ويسر تحت الجسر وعيناها مفتوحتان، واختفت، ثم عادت للظهور فى النقاء فرع النهر بالفرع الآخر. كان فى الجنة شىء من السمو، صاح سيمو بحق النجوم فى السماء، وظل يتابعها بنظراته. فكر موسى فجأة فى الرجل العجوز الذى تحدث معه فى المنتجع. عاد إلى الفيلا، خلع ملابسه واندس فى الفراش بجوار سيسيلى. لقد سمحت له بذلك مرة واحدة فقط منذ عودته من مصر، كطقس من طقوس الحداد، وهى ترتدى فستان زفاف أختها أوتيل، ثم رقدت ثانية فى الفراش تدخن السيجار وتأكل الشوكولاتة وتقرأ. الآن انتقلت من روايات الجريمة إلى روايات الخيال العلمى. لقد ازداد وزنها وتشوّه جسدها لدرجة، لم تعد تسمح له بمكان كاف فى الفراش. ما زالت ترتدى قمصان نوم حريرية. موسى يعرف أنها تعرف كل ما حدث. رقد بجوارها فى انتظار الشرطة. لم تأت الشرطة. ولم تأت فى اليوم التالى ولا فى اليوم الذى تلاه. لم تأت مطلقاً. منذ أسبوع نفذت الشوكولاتة التى تفضلها سيسيلى. لم يحضرها ساعى البريد فى ميعادها من مدينة برن. كان على موسى أن يقوم من الفراش ويذهب إلى القرية. ذهب واشترى اثنين كيلو من الشوكولاتة من محل حلويات بيجلر، ولاحظ أن القرية هادئة أكثر من عاداتها. مستحيل يا سيدى المبشر، قالت السيدة بيجلر، لقد قبض على خادم ايجلر منذ أسبوع. لقد اعترف سيمو بفعلته. لقد قالت له ليزى أنه لن ينالها قط، فاغتصبها وخنقها ورمها فى التربة. وعندما اقتاده شرطى القرية

إلى محطة القطار ليذهب به إلى الحجز فى برن، قفز سيمو على قضبان القطار القادم من لوتسيرن فمات فى الحال. لم يكن الشرطى العبيط قد وضع كلبشات فى يديه فلقد كان سيمو طيباً، واعترف بكل شيء. كان الشرطى محظوظاً، فقد كان من الممكن أن يجذبه معه تحت القطار وينتهى هو الآخر. اشترى موسى كيلوين آخرين من الشوكولاتة وذهب إلى (حانة الدببة) وتناول صينية برن الشهيرة. لقد عرف الآن فائدة الثراء وأهميته. بركة الأب الكبير (ذو اللحية) ورحمته، هى التى أنقذته. لقد كان اعتراف سيمو مجرد إشارة. انه يعيش فى كنف رحمته وبركته ونعمته، يرتكب خطيئة بين الحين والآخر، حتى وان كانت أحياناً خطيئة كبرى. التهم موسى صينية برن حتى آخرها، ثم عاد إلى الفيلا وأعطى سيسيلي كيلوات الشوكولاتة الأربعة. غدا ستأتى الشوكولاتة من برن بكل تأكيد. قضمت قطعة ثم قالت: شوكولاتة برن أفضل بكثير، وفتحت رواية الخيال العلمى (فى فقاعة الزمن) وقالت لموسى، أنه كان من الممكن أن يحضر لها الشوكولاتة قبل أن يلتهم صينية برن.

كان فاننسنريد بطلاً من أبطال هواة الملاكمة فى الوزن الثقيل فى سويسرا، ولكنه كان يعتمد على الحظ أكثر من اللازم. فمحاويلته الأولى للاعتراف، انتهت بالضربة القاضية فى الجولة الأولى، ودخل بسببها فى إغماء استمرت شهراً كاملاً. ومن المحتمل أن يكون قد أثر ذلك على ذكائه، لكنه بالمقارنة بحالته قبل الإغماء فلا يوجد فرق يذكر. كذلك محاولته أن يعمل كبلطجى لطرد الزبائن، قد فشلت تماماً. كان يعتقد أن أى منهم يمكن أن يشتبك معه ويضربه، لذا وجد

نفسه غير قادر بتاتاً على القيام بهذه المهمة. وحتى محاولته الانخراط في الحياة العملية فشلت فشلاً ذريعاً، استمرت عامًا كاملاً على ما يرام، ثم قبضت الشرطة مرة واحدة على ثلاث من المومسات اللاتي كان يقودهن. فاعتكف لمدة أسبوعين، كانت الشرطة آنذاك مزعجة جداً، ولم يعد أحد يود أن يعمل معه. حاول فانتسنريد أن يعمل في مجال غير ملفت من مجالات الجريمة، فكون عصابة من المجرمين المبتدئين، فأجر المحترفين لا يقدر عليه. لكن الغريب في الأمر، أن جميع الجرائم التي قاموا بها من سرقات وسطو على البنوك، كانت تنسب إليه هو، وتلصق به وحده. كان يستحيل إثبات ذلك، لكن الاتهام كان يوجه إليه شخصياً، وهكذا انصرف عنه المجرمون الهواة، فقد كانت منحة الشؤون الاجتماعية من الدولة أكثر سخاء مما يحصلون عليه، وأعلنوا التوبة. أحكمت الشرطة قبضتها، ولم تعد زيوربخ مكاناً مناسباً له. كان يجلس في حالة ذهول أمام المحامين الثلاثة رافائيل ورافائيل ورافائيل. كانوا كما لو أنهم ثلاثة توائم، في حوالي الثلاثين من عمرهم، تبدو عليهم السمنة، واللون البرونزي من الشمس، بياقات مفتوحة، وسلاسل ذهبية حول العنق، لكن الأدلة التي عرضت عليه، والتي تنتهمه بأنه قام بعمليات سطو على بنوك وأماكن أخرى، كانت دامغة ويصعب إنكارها، رغم أنه بالفعل لم يقم بها. لقد وشى به شخص ما. واجبه أن يحيطوه علماء، وأن يبلغوا عنه، قال الأول. اثنتا عشر سنة سجن، أردف الثاني. لكن هناك مخرج، أكد الثالث. وظيفة ثابتة، قال الأول. حارس ليلي، أردف الثاني. في منتجع، قال الثالث. هز فانتسنريد رأسه موافقاً. أشعل كل منهم سيجاراً ضخماً. من هذه اللحظة ولا كلمة، قال الأول. مع أي شخص

كان، أردف الثاني، ونفت حلقات الدخان فى الهواء. هذا وإلا، أكد الثالث وأطفأ عود الكبريت. هز فانتسنريد رأسه موافقًا. أصبح ضروريًا أن يذهب إلى مستشفى خاص فى مقاطعة تيسين، فوجهه معروف جيدًا عند الشرطة.

أخذ موسى ميلكر طائرة الخطوط الجوية السويسرية (سويساير) إلى نيويورك، بناء على دعوة غير مقروءة بشكل واضح، مرفق معها شيك قابل للدفع من بنك خاص بنيويورك، وذلك لإلقاء محاضرة لصالح جمعية أهلية فخمة أغلب أعضائها من النساء الأرامل، وبشكل أدق لإلقاء درس دينى عن "تعاسة نعمة الأغنياء ونعمة تعاسة الفقراء". كان النجاح ساحقًا. أعقب المحاضرة عشاء فاخر على شرفه، تحدث فيه مع الأرامل بطلاقة ولباقة وحماس. بعد ذلك تنقل بالطائرة فى طول القارة وعرضها، من مدينة إلى مدينة ومن منطقة إلى منطقة. لم يكن يعرف حتى هذه اللحظة من الذى أرسل إليه الدعوة. كانت الطائرة بلا نوافذ، وكان من الصعب رؤية المضيئة، التى ناولته كأس شمبانيا بمجرد صعوده إلى الطائرة مباشرة، شربه قبل أن يجلس، جلس وربط الحزام، ثم استغرق فى النوم. عندما استيقظ، استقبلته امرأة ورافقته حتى الخروج من الطائرة، ثم إلى المحاضرة، ثم إلى الفندق، وفى صباح اليوم التالى إلى الطائرة ثانية. لقد استقبلته سيدات عديدات، لكنه لم يعد يتذكر ملامهن. فى أحد الفنادق بسانثا مونيكيا (على فرض أنها سانثا مونيكيا) خلع ملابسه وهو مرهق من طعام العشاء الوفير، جلس على السرير وخلع حذاءه. أجال ببصره فى الغرفة، فوجد رجلًا يرتدى حلة بيضاء يجلس فى

مواجهته، كان شعره فاحم السواد، بشكل لا يتلاءم مع وجهه العجوز. كان كل شيء فيه لا يتلاءم مع هذا الوجه العجوز، الأيدى الشابة، جسده الرشيق، جسدها الرشيق تلك المرأة التي تجلس على الكنبه والتي تعرف عليها موسى فى الحال. لم يكن وجهها عجوزاً هى الأخرى، لكنه كان جميلاً، من ذلك النوع الذى لا يشى بعمره: لقد كانت هى المرأة التى ودعها أمام الفندق، بكل سحرها. اسمى أوريل، وقدمت لموسى ساعة جيب. من عميلى، قالت له. تأمل موسى الساعة. كان لها مؤشر واحد، وعليها واحد وستون رقماً. وكان المؤشر يشير إلى ما بعد الثامنة والخمسين بقليل. "ساعة لك يا موسى" قالت المرأة. فكر موسى ثم قال "إننى أكبر من الثامنة والخمسين قليلاً". قالت ضاحكة "أرأيت، إنها ساعتك". قال لها موسى، أنه يهमे أن يعرف، من هو عميلها هذا، الذى أهدها تلك الساعة العجيبة. فأجابته أن لها عميل واحد، إنه صاحب الطائرة. سوف يطلب منى قريباً ساعات بساعات مائة، وساعات بدقائق مائة، ودقائق بثوان مائة، وسوف يطلب أيضا ساعات بخمسة عشر ساعة فقط، فى كل ساعة ثلاثمائة دقيقة، فى كل دقيقة خمسة وأربعون ثانية، لكن الثوانى ليست متساوية، بعض الثوانى ٣,٢٥ ثانية، وبعضها ٧ دقائق بطولها، لقد قامت ذات مرة بتصميم ساعة كان فيها اليوم بألف سنة، وهى لا تعرف إن كان عميلها يمتلك ساعة عادية أم لا، فهذا لا يعينها، فالعميل عميل، وهو عميلها الوحيد. مرة ثانية يعود موسى للرجل الذى يجلس أمامه، بجسده الشاب ووجهه العجوز، وعندما رافقته المرأة فى الصباح الباكر من اليوم التالى إلى الطائرة، اكتشف أنه نسى كل ما حدث، كما نسى الساعة التى كانت تدق داخل إحدى

حقائبه. هذه المرأة يعرفها بشكل أو بآخر، مؤكد.

دائمًا تفشل الأشياء مع كريهنبول. أفلس فندق الجراند هوتيل فى هابكرن، مع أن هذا لا يقارن بالكارثة التى حدثت فى الكاريبى. أخبره مقال من بلدياته، يقوم بإنشاء بنايات عدة، أن فندق المائة شاليه بإحدى الجزر البعيدة العذراء، يبحث عن مدير للفندق، لم يتمكن من مقابلة أحد، ولم يصل إلى نتيجة. فندق (سانشوبانزا) فى جامايكا أصابه الإفلاس، ولا داعى لذكر فندق (جنرال سوتر) فى سان فرانسيسكو. وهكذا ظل كريهنبول فى منطقة الكاريبى كما لو أنه فى مصيدة للفئران. أما الأمريكان فقد طال انتظارهم ولم يأت أحد منهم، فمن الذى يرغب فى قضاء أجازته على تلك الجزيرة، التى يتزايد فيها عدد الزوج باستمرار، فمنذ أن رحلت المجموعة الأخيرة، لم تسجل أية رحلة سياحية جديدة. كان نوعًا من سوء الحظ، أن تسقط ثمرة جوزة الهند على رأس مدير بنك ميامى، بينما كان يأخذ تعسيلة تحت شجرة جوز الهند على حافة حمام السباحة. بضربة بلطة قوية، أطاح الصبى بالثمرة من على غصن الشجرة، لكنه من المؤكد، أنه لم يكن يقصد ذلك. ورغم كل شيء، شارك كريهنبول فى مراسم الجنازة والدفن بميامى، لكن أرملة مدير البنك قد تجنبت مواجهته وتقبل عزاءه، فى حضور أهم رجال البنوك فى الولايات المتحدة الأمريكية ومن يومها ظلت الشاليهات خاوية، إلا من الضفادع الضخمة التى تتقافز فى الليل حول ضوء اللمبات المعلقة أمام الأبواب، عشرة ضفادع حول كل لمبة. ثم جاء المالك الجديد من مانهاتن معلنا شروطه. يجب أن تبنى مدفأة فى أحد الشاليهات. جاء مع حاشيته

أثناء الليل. واندفع الرجال يقفزون فى حمام السباحة وهم يرمبون بالضفادع فى الماء. أخيراً ظهر. أمام المدفأة التى يقطعق فيها الخشب المشتعل، يجلس رجل يصعب رؤيته من الدخان الذى يملأ الشاليه، له عيون مائلة، وعظام فك قوية، يغطى وجهه الهباب، وخيوط من الشعر الأسود الفاحم تخرق صلعته، يرتدى روب حمام كان أبيض قبل تلوثه بالهباب من يديه، التى طبعت عليه آثاراً سوداء. قدم أحدهم ورقة لكريهنبول لكى يقرأها. كتب فيها: أن الصبى الذى تسلق شجرة جوز الهند، كان مكلفاً بقتل مدير البنك من قبل كريهنبول. ثم أشار الرجل المهيب إلى طاولة بجوار النافذة المهيبة عليها كومة من الأكياس البيضاء يغطيها الهباب. بعض من تلك الأكياس البيضاء، كانت ملقاة على الأرض "كوكابين" قال الرجل المهيب "وجدناه فى شاليهك". أكد كريهنبول أن لا دخل له بالموضوع، وأنه برى تماماً. قال الرجل الذى تصعب رؤيته خلال الدخان الكثيف، أنه يعرف أن لا دخل له بالموضوع، وأنه برى تماماً، لكن براءته يستحيل إثباتها، فقد اعترف الصبى بذلك، ولو تراجع الآن، فستنقص الرؤوس رأساً بكل تأكيد. سىء الحظ دائماً كريهنبول سىء الحظ. على طول الخط سىء الحظ. صمت الرجل المهيب، ورأى كريهنبول أنه ضائع ضائع فقبل الصفقة.

عاد موسى ميلكر فى نهاية شهر مارس بطائرة مروحية ذات أربعة موتورات تابعة للخطوط الجوية السويسرية (سويس إير) بالدرجة الأولى، كان يجلس بجوار النافذة، غفا قليلاً بعد العشاء الفاخر، نظر من النافذة، رأى فى البعيد جرونلاند بين جبال الجليد،

كما لو أنها لعبة أطفال على شكل مركب. لاحظ موسى فجأة، أن بجواره يرقد شخص فى مقعده بعد أن دفعه إلى الخلف، رجل طويل نحيف يرتدى حلة انجليزية، وأصلع تمامًا، يضع على عينيه نظارة نصفية بإطار ذهبي ويكتب من اليمين لليسر فى دفتر صغير. "وجهك ليس غريبًا على" قال الغريب "انه مثير بشكل ملفت. وجهك يسحرنى. من المؤكد أن تأثيرك الجنسى مذهل على النساء. هل يمكن أن نتبادل الوجوه؟ يمكننا فعلا القيام بذلك، فى المستشفى الخاص التى أملكها فى سترادا ديلا كولينا فى آسكونا. إننى أجد وجهى مملاً. لا يثير النساء كوجهك يا سيد ميلكر. "هل تعرفنى؟" سأله موسى ميلكر مستغربًا. "لحد ما" أجاب الغريب وواصل "أنت عائد من رحلة موفقة، ألقيت فيها بعض المحاضرات. ولو أن إنجليزيتك كانت قديمة. ما هو مصدر محاضراتك؟ من أين أتيت بها؟" إنه يحفظ كتاب "رحلة الحج" لبونيانس عن ظهر قلب، قالها موسى بفخر. "عن ظهر قلب! مدهش!" تعجب الغريب "رحلة الحج لبونيانس؟ أنصحك بأن تقرأ أيضًا هاسميث وأمبلر وهامت. أو فلتقرأ روايات الخيال العلمى مع زوجتك سيسيلى". إنها لا تقرأ سوى الألمانية، قال موسى، متعجبًا من أنه يعرف حتى اسم زوجته. "والآن، ما رأيك فى فكرة تبادل الوجوه؟" سأله الغريب. عرض على موسى مائة ألف مقابل وجهه. العملية بلا مقابل. سيقوم بها بنفسه، حتى يضمن دقتها. وفى نفس الوقت، سيجرى العملية لنفسه أيضًا. سوف يجلس كل منهما ملتصقين على مقعدين متجاورين فى غرفة العمليات. لقد تخيلها هكذا، أن يضع الرأس فى مواجهة الرأس، الصدغ على الصدغ، يمكنه أن يستخدم

يديه الاثنتين بمهارة. يمكنه أن يجرى العمليتين فى نفس الوقت، لو وافق موسى ميلكر، يمكننا أن نقوم بالعمل كله، بمستشفى الجامعة فى زيوريخ، حتى يتعلم الطلاب شيئاً جديداً.

"لا شكرًا. أريد أن أحتفظ بوجهي" أجاب موسى. "هناك خطورة أن تتفجر طاقتك الجنسية يا سيد ميلكر" قال الغريب "مثلما حدث مؤخرًا مع ليزى بلاتر. ألم يكن هذا هو اسمها، الفتاة التى جرفت جثتها مياه نهر الجرين؟ وعيناها مفتوحتان". نظر موسى من النافذة. "اسمى ميكائيل" قال الغريب. لم يعد هناك جبال جليد، ولا مراكب أطفال، وحتى جرونلاند لم يعد من الممكن رؤيتها. فقط سماء فى كل اتجاه. فجأة صار المقعد بجوار موسى خاليًا، وعندما عاد فى وقت متأخر من الليل إلى قرية جرينفيل لاحظ أن هناك ضوء فى غرفة النوم. سيسيلى راقدة فى فراش الزوجية مرتدية قميص نومها الحريري، تدخن السيجار، تقرأ رواية بوليسية وتأكل شوكلاته. جبل الهمالايا من الشحم واللحم "تعالى يا قردى" قالت له "انزلق تحت الغطاء وصل للأب الكبير أن لا أُنقلب عليك أثناء النوم، وأرسلك إلى متع الحياة الأخرى".

تلقى أحد نواب مجلس الشيوخ خطابًا من أحد المحامين بعاصمة المقاطعة، يخبره فيه بأن الجمعية السويسرية للأخلاق قد قامت بشراء المنتجع بشروط ميسرة، كما قامت بتأجيريه خلال فصل الصيف فى الفترة بين ١٥ مايو إلى ١٥ أكتوبر إلى موسى ميلكر، وخلال فصل الشتاء إلى الكونت فون كوكسن. لقد نسي نائب مجلس الشيوخ، بذاكرته المحملة فوق طاقتها، أنه هو نفسه رئيس مجلس إدارة

الجمعية السويسرية للأخلاق، كما نسى أنه توجد جمعية بهذا الاسم أصلاً، قرأ الخطاب وهو يهز رأسه، ثم وضعه جانباً ونسى الموضوع. وهكذا كان هناك وقت كاف، حتى يقوم شارع مينرفا ٣٣ بدراسة الموضوع والاستعداد له. صدر الأمر لكريهنبول بأن يذهب للمنتجع، تجول في ممرات الحديقة وهو يهز رأسه متعجباً. في مواجهة المنتجع يمتد مبنى ملحق كبير على حافة الغابة، حيث يوجد في البدروم غرفة الغسيل وأجهزة التدفئة المركزية، بينما توجد في الدور الأرضي عيادة الطبيب الخاص للمنتجع، وغرف التدليك والساونا وحمامات الطين، أما في الطابق الأول والثاني، فتوجد غرف النزلاء الأقل ثراء. يتصل هذا الملحق بالمنتجع عن طريق سرداب سرى تحت الأرض. أمام الملحق، يوجد ميدان به كشك للموسيقى، يعزف فيه الموسيقيون النشيك الثلاثة في أمسيات الصيف الدافئة، حيث تتساب الموسيقى إلى القاعة حتى يمكن أن يسمعها الأب الكبير. لقد قام كريهنبول بتأنيث المنتجع بمساعدة كائنين سمينين من لشتنشتاين في هدوء، لم يلحظهم أحد من أهل القرية. أغلقوا الأبواب، ونقلوا الأرائك والكراسى الهزازة والأسرة الفاخرة عن طريق السرداب السرى تحت الأرض. قامت شركة دعاية من بازل، بتصميم بوستر كبير من ورق لامع كتب عليه (الفرح والسعادة من خلال الفقر). في بداية شهر مايو، وصل موسى ميلكر خطاب يخبره بأن رغبته في إنشاء منتجع لاستجمام أصحاب الملايين قد قام بتحقيقها أتباعه وحواربيه، وأن المنتجع سوف يفتتح في ١٥ مايو، وأن حضوره أساسى لا غنى عنه. وعليه ألا يشغل باله بالعمليات التنظيمية، وأن يركز اهتمامه على مهمته الروحية فقط، ويترك الباقي

للجمعية. لو أن موسى لم يقابل أوريل فى سانتا مونيكا (على فرض أنها سانتا مونيكا) ولم يدر هذا الحديث الغريب مع ميكائيل فى الطائرة عند عودته من الولايات المتحدة، لتأزم الوضع، ولاعتقد أنه قد وقع فى شبكة ليست شريرة تمامًا، لكنها طبيعة الأب الكبير (على فرض أنه الأب الكبير) أن ينسج مثل هذه الشباك، فهو ينسجها بغريزته، مثلما ينسج العنكبوت شباكه، دون أن يفكر فى صيد ذبابة معينة، بل أية ذبابة، ومن طبيعة موسى أن يسقط فى الفخ، مثلما يسقط الذباب، على سبيل الصدفة أو على سبيل الضرورة، مجرد وجهة نظر فلسفية تتعلق بالعقيدة التى لا يمكن إثباتها. وصل موسى وزوجته سيسيلى إلى المنتجع يوم ١٣ مايو. أدهشه إصرار زوجته على مصاحبته. لقد كانت عملية الانتقال مشكلة، فقد فضل موسى أن يسافر بالسيارة الرولز رويس على سبيل الوفاء لزوجته الأولى ايميلى لاوبر. كانت السيارة موديلًا قديمًا. وكان يمكن دخولها دون أن يحنى الراكب، فعندما يفتح باب السيارة الأيمن، تبرز سلمتان فى اتجاه الراكب. أطنان الشوكولاتة التى أكلتها سيسيلى طوال حياتها، جعلت من صعودها إلى الرولز رويس مشكلة حقًا، لكنها بطريقة أو بأخرى دخلت السيارة بصعوبة. كان أوجوست، ابن مسئول الجراج فى جرينفيل، يقود السيارة، بينما يجلس موسى بجواره، فلا مكان له بالخلف بجوار سيسيلى. ابتدأت الرحلة فى الثامنة صباحًا من جرينفيل، سار كل شىء على ما يرام حتى قرية مايرنجن، بعدها كانت الطرق الضيقة مشكلة بالنسبة للسيارة الرولز رويس. وصلوا فى الخامسة بعد الظهر وهم فى أشد حالات الإرهاق والتعب. كان هناك أمام مبنى الملحق، رجل يتمشى، مرتديًا أوفرول. هل هناك من

أحد، تسائل موسى، "أنا" رد الرجل ونظر إلى الرولرز رويس بارتياح. أنا موسى ميلكر، قدم نفسه وهو ينزل من السيارة. "هذا واضح" قال الرجل. هل وصلنا؟ تسائلت سيسيلي بصوت غير مفهوم، فقد كان فمها مليئاً بالشوكولاتة المحشوة بالكرز. "وصلنا" أكد موسى. أين البواب وأين حاملو الحقائق؟ تسائلت سيسيلي. لا يوجد بواب ولا يوجد حاملو حقائق، أجاب الرجل. "لكن كيف؟" سأله موسى متعجباً. أنتم هنا فى "بيت الفقر" أوضح الرجل. هذا هو الاسم الجديد للمنتجع حالياً. لقد دشنته شركة الدعاية من بازل بهذا الاسم. احتج موسى ميلكر قائلاً، بعد غد سيكون المنتجع، "بيت الفقر" قاطعه الرجل مصححاً. انفتح باب بيت الفقر، ودخل موسى بالسيارة. لقد سجلت أسماء الكثير من النزلاء، أكثر مما كان متوقعاً. نحن فى حاجة لمستخدمين، مستخدمين كثيرين، خدم وعمال. من قام بهذا التنظيم السئ؟ الجمعية السويسرية للأخلاق، أجاب الرجل. ليس من حق الجمعية أن تتدخل هنا، اعترض موسى. إنها هى التى تعطى الأوامر هنا، قال الرجل فهو موظف يعمل عندها، كذلك موسى ميلكر أيضاً. ماذا يحدث هنا، متى سنذهب أخيراً إلى البرج الشرقى، احتجت سيسيلي من داخل الرولرز رويس، أين الشيالون؟ البرج الشرقى ممنوع الدخول فيه بناتاً وممنوع تأجيريه لأحد، قال الرجل. يمكن لكما أن تسكنا فى البرج الغربى. من قام بتنظيم ذلك؟ ومن أعطى هذه الأوامر؟ تسائلت سيسيلي. الجمعية السويسرية للأخلاق، أجاب الرجل. هنا أعطت سيسيلي الأمر لأوجوست، بأن يعود بها إلى جرينفيل فوراً وفى الحال. أخرج أوجوست حقيبة موسى من شنطة السيارة وانطلق عائداً مع سيسيلي. الآن، ليس أمامه سوى أن ينجز

كل شيء وحده من غير زوجته، تنهد موسى. "تشجع يا رجل" قال له الرجل "من تكون بالضبط؟" تسائل موسى "كريهنبول مدير المنتجع" قال الرجل ودلف داخل مبنى الملحق. كان على موسى أن يحمل حقيبته للمنتجع بنفسه. كان المصعد معطلاً، وكانت الحقيبة ثقيلة. كانت معه مخطوطة "ثمن النعمة"، التي ما زالت تحتاج لبعض التنقيح. وأخيراً وصل إلى الطابق الأخير، عندئذ سمع أصوات غناء صادر من البرج الشرقي. حمل حقيبته بعناد مفاجئ وغير مبرر حتى البرج الشرقي وفتح الأبواب ودخل. حول أحد الطاولات، يجلس ثلاثة أحبار من رجال الدين. الثلاثة يلبسون قبعات سوداء، ويضعون على عيونهم نظارات شمسية، ويرتدون قفازين سوداء ومنهمكين في الغناء. الحبر الذي يجلس في الوسط له لحية بيضاء، بينما الحبر الذي يجلس عن يمينه له لحية حمراء، أما الحبر الذي يجلس عن يساره فله لحية سوداء. وكانت اللحي الثلاث كثة كثيفة شعناء غير مشذبة. خلفهم هناك نافذة. جلس موسى على حقيبته ينصت لغناء الأحبار الثلاثة. توقفوا عن الغناء فجأة. خلع الحبر ذو اللحية البيضاء الشعناء نظارته الشمسية بينما ظلت عيناه مغلقة. لاحظ موسى ميلكر أنه تجاهل التعليمات بعدم الدخول إلى البرج الشرقي، وأن هذا ليس من حقه. "معذرة" همهم موسى. لقد سبب له عدم وجود الخدم ارتباكاً واضحاً. "ارتباك؟" تعجب الحبر ذو اللحية الحمراء الشعناء وخلع نظارته الشمسية دون أن يفتح عينيه. كان موسى يود أن يقيم للأثرياء مكاناً للصلاة وإقامة الشعائر والعزاء، لذلك يحتاج لمستخدمين! يحتاج بالفعل لخدم كثيرين، يجب أن تفهموا ذلك، أكد موسى وهو في حالة شديدة من الاضطراب. إن إقامة مكان للعبادة والصلاة عملية تحتاج

إلى تنظيم. "أنت أيها المؤمن الصغير" قال الحبر الثالث ذو اللحية السوداء الشعثاء، خلع نظارته الشمسية السوداء، ولم يكن هناك عينان، بل تجويفان فارغان لا غير. فى "بيت الفقر" سوف يقوم الأثرياء بدور الخدم. انتفض موسى ميلكر مفزوعاً وجرى حاملاً حقيبته الثقيلة إلى البرج الغربى.

كان أغلب النزلاء قادمين من الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت الأغلبية من النساء الأرامل تقودهن أرملة رئيس دولة. لكن أوروبا أيضاً، كانت بالطبع ممثلة: ليس بأرامل فقط، ولكن برجال الصناعة الكبار، وأصحاب البنوك الخاصة، وكبار المديرين، والمستثمرين وكبار رجال البورصة، ومضاربى البورصة، وكبار الملاك العقاريين.. الخ. بعد وصولهم، وقف الجميع فى الميدان أمام المنتجع، فى الجو الرديء بجوار حقائبهم، متجمعين فى كشك الموسيقى وهم فى حالة من الدهشة، كانوا كثيرون العدد، فوج حجاج من المليارديرات الثقال، متشوقين لمغامرة جديدة، بينما وقف سائقو التاكسيات والسيارات الخاصة الفاخرة التى جاءوا بها، فى طابور طويل يمتد فى اتجاه الودى. يسيطر على الجميع قلق واضح لعدم ظهور شيالين ليحملوا الحقائب. أخيراً ظهر موسى ميلكر أمام بوابة المنتجع. حط الصمت على الجميع. كان موسى ميلكر متحدثاً متمرساً قادراً على الإقناع. وابتدأ موعظته منطلقاً من كلمات السيد المسيح، من ملخص الأنجيل الثلاثة، التى تقول: أسهل على الجمل أن يمر من سم الإبرة على أن يدخل أحد الأثرياء جنة الرب. وعندما سئل السيد المسيح من أحد حواريه المذعورين: ومن إذن سيباركه الرب؟

أجابه بأن ذلك سيكون مستحيلاً مع مثل هؤلاء، لكن كل شيء ممكن عند الرب، فهو القادر على كل شيء. واستطرد موسى، مبارك هم الفقراء في الروح، فالجنة مثواهم. فقراء في روح من؟ في روح الأب الكبير في السماء (يقصد الرب ذو اللحية) ساعتها لن تحل عليهم النعمة والبركات، وبصيرون تعساء. لا، مبارك هم الفقراء في روح الإنسان، أقصد الفقراء، فروح الإنسان هي النقود Pecunia باللاتينية، أصلها Pecus أى الماشية. النقود حيوانية. من المقايضة، حيوان مقابل حيوان، جمل مقابل جمل، أصبحت: حيوان مقابل نقود، جمل مقابل نقود، قيمة مقابل قيمة. الإنسان يقيم بالنقود. لذلك يركز كل ما يفعله الإنسان على النقود، ثقافته ومدنيته، ما يفعله بواسطة النقود وعن طريق النقود، الجيد والردىء، دورة رأس المال الشرسة من أجل الخبز للأخوة، ومن أجل ما يحتاجه الأخوة، ما يكسينا، وما يعرينا، بقيم الحياة وبدون قيم الحياة، بالدائم وبالزائل، بالضرورى وبالثانوى، بالفن وبالمبتذل، بالسينماتوجرافيا وبالبورنوجرافيا، بالحب وبالحب المشتري، باطل باطل. الكل باطل هذه هي أعمال البشر وهي لا تدخل في مجال أعمال الأب الكبير. فالفقير الذى لا يملك شيئاً، يمتلك الجنة في مملكة الرب، أما الغنى الذى يمتلك الأشياء، فلا يمتلك شيئاً في مملكة الرب، فالملكية ترهق روحه، وهو مثقل بما يحمل من ممتلكات، فكل ملكية عبء، عبء ثقيل، سواء كان رأسمال أو ثقافة. لذلك ترك الشاب الغنى السيد المسيح وهو متكدر، فلقد كان يمتلك الكثير. متكدر فعلاً! كم كان يود أن يكون فقيراً، كم كان يود أن يبيع كل شيء ويعطيه للفقراء، كما أوصاه السيد المسيح، ولكن

ماذا سيحقق ذلك؟ سيبدد الفقراء بحماقتهم كل الممتلكات، ويعودون فقراء كما كانوا. فالذى يخصه ملكوت السماء، لن يلقى به الأب الكبير فى الجحيم. لكن ماذا عن الشاب الغنى؟ سيصير فقيرًا مفلسًا، محطمًا مدمرًا، هالكًا لا محالة، ولن يصل إلى ملكوت السماء، فتدميره ليس فى نية الأب الكبير، لكنه فى عقل الشاب نفسه، فى عقل بنى آدم. وهكذا يتحایل على مصيره - عن قصد - ليصير غنيًا. لقد نصحه السيد المسيح بأن يحاول، فالمسيح نفسه كان يحاول، فقد كان يتجول فى أودية مهلهلة، ليس الشيطان وحده، لذلك تدعو المسيحية الرب بأن: لا تدخلنا فى تجربة! لقد قاوم الشاب الغنى الدخول فى تجربة أن يكون فقيرًا، وأن يصير متشرذمًا صعلوكًا، وأن يرتدى ملابس مهلهلة مثل السيد المسيح، وبهذا المعنى يكون الثراء هو صليب المسيحيين، وسببًا للحزن والكدر، بينما يكون الفرح والبهجة من نصيب الفقراء والمساكين، المسيحية!! قالها متحسرًا. تمالك موسى ميلكر، ثم ركع على ركبتيه، الهدوء يسود الميدان، قطعه نباح كلب من ناحية القرية. ثم ساد الهدوء ثانية. نظر موسى إلى الجموع، إلى ملاك المحلات التجارية العملاقة، وملاك وسائل الإعلام، وملاك المصانع، وملاك البنوك، وملاك العقارات، وملاك سلاسل الفنادق العالمية، نظر إلى كل الملاك الذين تجمعوا أمامه ونظروا إليه.

قال موسى هامسًا: "تعالوا إلى هنا، كلكم، أنتم أصحاب الأرواح المتعبة، المثقلين، أريد أن أقول لكم شيئًا ينعشكم" وسمع الجميع همساته. هذا غير ممكن بالنسبة لبنى آدم، لكنه ممكن عند الأب الكبير، فهو القادر على كل شيء. نظر إليه مأمون إله المال بغضب

وقال صارخاً، ليس الأب الكبير، واندفع عالياً. من أين لهم كل هذا الثراء وما هو مصدره، المال الذى يكتنزونونه ويحيط بهم من كل الجهات ويضغط عليهم، تكلم، تحدث، ألقى موعظة، بأداء بارد وبشكل متقطع يدعو للملل، هذا التيار القوى الذى جرفهم جميعاً فى طريقه وأغرقهم، الذهب، العملة النقدية، الأموال القذرة، حزم السندات، الإتاوات، الرشاوى، القروض، أرقام الحسابات، الديون - من أية مصادر واضحة أو مستترة، من أية تعاملات دموية أو غير دموية، من أية أمهات فاضلات أو فاسقات، من أية أساليب مشروعة أو غير مشروعة، بصرف النظر أياً كان المصدر الذى ينساب ويتدفق ويندفع فيه، فهو خفيف الوزن، مجرد فضلات، زبالة، طين المستنقعات تلقى فى وجه الأب الكبير. وعندما يتخلصون من هذه القاذورات، يكونون فى أمان. وعندما يكون الفساد مطلقاً، تحل عليهم الرحمة، هذا هو المستحيل، الذى هو ممكن فقط عند الأب الكبير، فهم لا يستحقون شيئاً، لكنهم يستحقون الرحمة، عندئذ تصير الرحمة أجراً. الرحمة هى سم الإبرة الذى لا يفوت الجمل وحده، بل يفوت كل شيء، يقوم به المتجمعون هنا، الذين يننون من لعنة الثراء. رحمة الأب الكبير تشمل الجميع، فيصير الأواخر أوائل، والفقراء أغنياء، يشمل الفقراء برحمته، ويصب لعناته على الأغنياء. والذى تشمله النعمة، لا يحتاج إليها، فهو فى كنفها، وهكذا تذهب النعمة إلى الأغنياء الملعونين، النعمة التى تتوجههم، كما لو أنهم وحدهم - حثالة البشرية - هم الذين يستحقونها.

"أهلاً بكم فى بيت الفقر" وختم موسى ميلكر خطبته.

تدريجياً، استوعبوا أنه لا يوجد خدم في المنتجع، وعليهم أن يساعدوا أنفسهم بأنفسهم، واندفعوا في ممارسة الفقر. تلكئوا في البداية، ثم ابتدأ كل منهم يساعد الآخر، فحملوا الحوائب، ووزعوا الغرف، مسترشدين بتوجيهات ونصائح موسى ميلكر، الذى كان مرتباً مثلهم، كانوا ينظمون أنفسهم تحت قيادة فيلد مارشال إنجليزى فاحش الثراء تبدو عليه البلادة. اتصل تليفونياً برئيس القسم العسكرى بالمقاطعة، الذى اتصل بدوره برئيس عموم المقاطعة، فى اليوم التالى كان هناك سيارتان نقل محملتان بالأشياء اللازمة، ثم اكتفى بسيارة نقل واحدة يومياً. لقد غسل الاهتمام بالصحة الهموم الروحية، واستغنى عن طبيب المنتجع، الذى كان يهتم بالنزلاء أثناء فترة الصيف، واستخدمت المياه المعدنية كمياه للشرب - كرمز للفقر - بدلاً من شرب النبيذ. وسيطر على الجميع ولع غريب، بأن يعيشوا حياة الفقراء، المليونيرات وأرامل المليونيرات، قام كبار المديرين بترتيب الأسرة، وكبار رجال البنوك بتنظيف الحجرات، وكبار رجال الصناعة بترتيب الموائد فى قاعة الطعام، وانهمك المديرين الكبار بنقشير البطاطس، أما أرامل المليونيرات فقد قمن بالطبخ والغسل، كما قام المشايخ أمراء النفط بالاهتمام بالحديقة، وتنظيف الحشائش، وعزق الأرض، والنشر والدق والدهان، مقابل أسعار فاحشة. لكن ذلك لم يمر بسهولة، فقد قام النزلاء فى واقع الأمر بالأعمال التى كان يقوم بها عادة أهل القرية، كانوا يمارسون العمل وهم بيتسمون ويضحكون ويقهقهون، خسارة حقيقية، ألا يكون المنتجع والقرية وحدة اقتصادية واحدة. ولقد جلبت تعاليم موسى ميلكر ودروسه، التى كان يلقيها عليهم صباح مساء، جلبت الحظ للمنتجع وحده وليس

للقرية، فانتعشت أعمال المليونيرات، وتوقفت مصالح القرية، وصار أهلها عاطلين عن العمل. فالرغبة العارمة في معاشة الفقر، المرتبطة بأقل التكاليف، تسببت في توقف العمل في مخازن القرية، فبدلاً من صنع الخبز المخصوص بأنواعه والمعجنات والكرواسون وخلافه، والكعك والتورتات والحلويات، اكتفت المخازن بالخبز البسيط العادي، وأصبحت قاعات الشاي التابعة لها خاوية من الزبائن. وتوقفت حركة التاكسيات، كما توقفت المركبات الداخلية، التي كانت نقل النزلاء إلى المنتجعات الأخرى بالمقاطعة. لم يعد أحد يشتري دوليب الفلاحين ولا الطاولات ولا المقاعد، ولا قرون الأيائل الكبيرة أو الصغيرة، فالذي يريد أن يعيش حياة الفقراء، عليه أن لا يبدد النقود. لقد دمر اقتصاد القرية تماماً.

وفي ١٥ أكتوبر أغلق المنتجع أبوابه. وعاد النزلاء منكسرين إلى منازلهم، مضطرين إلى أن يتحملوا ثمانية عبء الشراء، بعد أن تزودوا بصلابة حياة الفقر وخشونتها، التي استمتعوا بها أيما استمتاع. أما في فصل الشتاء فليس هناك ما تبحث عنه القرية في المنتجع. من قبل، كان حارس المنتجع رجلاً من رجال القرية، كان الأطفال يلعبون في القاعة ويجرون في الممرات، وكان الرجال يتفرجون على أنواع النبيذ المختلفة في البدروم حتى وقت قريب، الآن جاء رجل كالثور، له وجه جامد كرية وأخذ مكانه وأصبح هو الحارس، يتحدث الألمانية بلكنة أهل زيوريخ، ويطرد كل من تسول له نفسه أن يقترب من المنتجع، فقد كان لمجلس اتحاد الجمعية السويسرية للأخلاق أسباب أخرى، دفعته لتأجير هذا المنتجع. كان

بعض الأعضاء يأتون أحياناً للمنتجع. لم يشكل ذلك مشكلة من قبل، فمن تبحث عنه الشرطة، يمكنه أن يختفى هناك. فمن يتبع رجلاً جاء من ولاية هيدسون، أو ايست ريفر، أو من بحيرة ميتشجان أو من المحيط الهادى حتى هذا المكان؟ كان مجلس الإدارة واضحاً لا يتردد، ولقد كانت أساليبه مفرعة، فكبار المجرمين المحترفين من الدرجة الأولى، أصبحوا الآن عملة نادرة، والعمل مع الهواة يفقد السمعة ويربك منظومة المعاملات المالية، لذا يعتبر هذا المنتجع فرصة نموذجية لا تتكرر. انتظر مجلس الإدارة إلى أن يمر موسم الشتاء، فأغلق المنتجع، وصار مأوى للمجرمين المطلوبين من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية FBI، وزعوا الغرف والأجنحة على القتل المحترفين والمتخصصين فى خطف الأطفال، التى كان الأثرياء يمارسون فيها صلواتهم أثناء موسم الصيف. وبعد سيطرة بهجة الفقر على المكان، ران الهدوء والوخم على القاعات. كان مجلس الإدارة يعرف الديون التى عليه، لكنه لم يتوقع قط مجيء الكونت فون كوكسن. كان فون كوكسن يعلم بكل ما يدور، لكنه كان محاطاً بكنوزه الفنية وبمجموعة من الكتاب، الذين كانوا يأتون خصيصاً من سانت جاللين بل ومن زيوريخ إلى مائدته السخية الممتدة دائماً، وقد كان يورد للمنتجع كتباً فى الفن والكلاسيكيات الأدبية. كان رجال المافيا فى حالة عجز تام، وهم يقبلون فى "الكوميديا الإلهية" و"رولاند السريع" أو "المخطوبان" فهم بالكاد يعرفون الإيطالية. وقد قام مجرمون إيرلنديون بإطفاء سيجارهم فى كتاب "عطلة فينيجان"، بل لقد حاول بصعوبة نصابون عالميون من

الساحل الغربى التهجى فى أعمال شيكسبير وفى "الجنة المفقودة". وهكذا، جلس عتاة المجرمين متكئين فى مقاعدهم يمرحون ويهزرون ويلقون بعضهم بعضًا بمجلدات الكلاسيكيات الأدبية. فالخروج من المنتجع ممنوع منعًا باتًا، فمن غير المسموح أن يراهم أحد، كما أن المنتجع رسميًا مغلق. وهكذا كان الملل يقتلهم، حيث لم يدخل إرسال التليفزيون بعد فى وادى الفوضى. فقط، نحيب عواصف الشتاء، التى تنبئ بسقوط الجليد، يعقبها صمت الليل الرهيب، ثم سقوط الجليد، يعقبه الصمت الرهيب. كانوا يجلسون فى القاعة المغلقة النوافذ، يقتلون الوقت بلعب الورق واحتساء الخمر والتدخين.

فى الصيف عاد الأثرياء ثانية، كانوا أفحش ثراء هذه المرة ممن كانوا قبلهم، وعندما حل فصل الشتاء، تجرأ مجلس الإدارة وأضاف إلى الجماعة مجرمين اثنين محترفين على أعلى مستوى، فى حضرتهما، يستحيل توقع ما يمكن أن يحدث من كوارث، فهذا يقع فى مجال تخصصهما الفنى الدقيق، فهما يؤكدان مثلاً، أن العلاج الأمثل للملل، هو ممارسة الجنس. وكانت أول ضحية هى إلزى، بنت عمدة البلدة، ذات الخمسة عشر ربيعًا. عندما جاءت فى صباح يوم بارد من أيام نوفمبر، ووقفت أمام باب المنتجع بعربة اللين التى يجرها كلب ضخمة، وكانت ترتدى بلوفرًا أحمر على بنطالها الجينز وتضع قلنسوة حمراء على رأسها.

جو ماريجوانا وجيمى الفحل، أكثر القتلة شهرة فى قارة أمريكا الشمالية. الاثنان ضخما التكوين وطوال القامة، أحدهما أكثر شهرة من الآخر، والآخر أكثر انحطاطًا، أحدهما أخلاقى والآخر كافر. وقد

اكتسب جو ماريجوانا هذا الاسم، لأنه كان يضع بين شفتي ضحيته دائماً سيجارة محشوة بالماريجوانا، ليس لأنه كان يدخل الماريجوانا، بل لأنه يريد أن يؤكد أن القتل رجل سيء الخلق. وكان يثبت على صدر ضحيته ورقة يكتب عليها بوضوح السبب الذى قتله من أجله، بالطبع لم يذكر قط السبب الحقيقى، فالسبب الحقيقى لا يعرفه سوى مجلس الإدارة، بل كان يكتب ما يؤكد سمعته كرجل يدافع عن الأخلاق: خيانة زوجية، عاق لأمه، كافر غير مؤمن بالله، بخيل مقتر، لوطى، شيوعى... الخ مما جعل مجلة Time الأمريكية تختار جو ماريجوانا ذات مرة كرجل العام، وتكتب: لو أن القواعد الأخلاقية التى ينادى بها هذا الرجل قد طبقت على المجتمع الأمريكى، لنسف المجتمع الأمريكى بأكمله. ومن غير المفهوم، أن الشرطة لم تحاول قط القبض عليه حتى الآن. كان بعد أن ينهى مهمته، يتحرك بشكل طبيعى. لم يكن يخاف شيئاً قط، فبعد أن يقوم بوضع العلامات على ضحيته، عادة ما كان يشارك فى الجنازة خلف الجثة، أو يتسلل وراءها فى قاعة التشريح، كان يطاردها أينما كانت، وكانت الجثث تقدر له ذلك. وحتى عندما قامت الشرطة بحفر قبر بيبه رونتسيل، بناء على رغبة أرملته لتأكيد أنها لم ينتحر، وفتحوا التابوت، وجدوا سيجارة الماريجوانا بين أسنانه، وعلى صدره لافتة مكتوب عليها: صاحب بيت دعارة. وعلى عكس جو ماريجوانا كان جيمى الفحل، فهو لا يمتلك أية شعبية، بل إن الشرطة قد اعتقدت لفترة طويلة أنه شخصية وهمية، وأكدت أن مثل هذه الأفعال الشنيعة البشعة لا يمكن أن يقوم بها شخص واحد بمفرده، بل من المؤكد أنه أكثر من شخص. كان لا يفرق بين الضحايا فما كان يستهويه ويستفزه ويتحدى قدراته،

هى صعوبة المهمة فى حد ذاتها. كانوا يجدوا ضحاياهم فى دورات مياه مغلقة، أو فى غرف المستشفيات المراقبة بعناية من الشرطة، أو الجالسين فى مقاعد الدرجة الأولى بالطائرات كما لو أنهم نائمين، أو مسترخين فى مقاعدهم الهزازة بمجلس النواب أو بمجلس الشيوخ. وكان بعدما ينجز مهمة ما، يذهب ليقوم فى بيت دعارة بضعة أسابيع. بين الحين والآخر، كان يثرثر بتصريح ما، أو يهذى بكلمات أثناء نومه، مما أدى بالشرطة للاقتناع تدريجياً بوجود جيمى الفحل كحقيقة. وعليه، كان قرار مجلس الإدارة باستبعاده هو وجو ماريجوانا لفترة، للاستجمام والاختفاء فى المنتجع طوال فصل الشتاء. كانت فترة الإقامة محتملة بالنسبة للأخلاقى، بينما كانت صعبة قاسية بالنسبة للكافر. كان جو ماريجوانا يبحث عن تجمعات أخلاقية، بينما كان جيمى الفحل يبحث عن استرخاء حسى، أحدهم يبحث عن الاستعلاء، والآخر يبحث عن النساء، كان جو ماريجوانا يختفى أثناء الليل دون أن يلحظه أحد، فتجده فى أطلال أحد الكنائس المهدامة، أو فى بيت الخلوة المهجور لقسيس القرية، بينما كان جيمى الفحل يترصد تلك الفتاة بائعة اللبن التى تأتى مرتين فى الأسبوع، ذات الشعربنى القصير المجعد، بعينيهما الزرقاوين، طازجة، بريئة، لا تدرى أن وراء هذه النوافذ المغلقة، ترصدها عيون أحد أعتى عتاة المجرمين، وتستهيهما بشق غير طبيعى.

لم يكن من الممكن تجنب ما حدث. جيمى الفحل يود اقتناص الفتاة، وجو ماريجوانا يود أن يمنعه من ذلك، وعندما كثر الحديث واللغط حول الفتاة، هدد جو ماريجوانا بأنه سوف يكسر رقبة كل من

يزعجها. لكنهما لم يحسبا حساب الكلب، الذى قفز بقوة ودفع بالعربة وبقسط اللبن على الأرض، بينما كانت إلزى تحاول الدفاع عن نفسها، وانقضض على جو ماريجوانا الذى كان يريد أن ينقذ الفتاة، ونهشه بعنف فى مؤخرته، بينما كان جيمى الفحل يتدحرج مع الفتاة فوق اللبن المسكوب. جاء من الغابة صوت رجل سكران ينشد بصوت عال: "أيتها البجعات الساحرات، تسكرن من القبلات، وتصبغن أجسادكن العارية بالماء العذرى المقدس" اختلط الصراخ بالأنين بالتأوهات، وكان صاخبا لدرجة يصعب فيها تحديد من هو الذى يصرخ ويئن، جو ماريجوانا أم جيمى الفحل أم الفتاة. فى نهاية الأمر اختفى جيمى الفحل داخل المنتجع، بينما اندفعت الفتاة مهرولة فى اتجاه الوادى. أما الكلب فانه لم يترك مؤخرة جو ماريجوانا بسهولة، فقد هتكها لدرجة كبيرة، مما جعل الحارس الليلى فانتسنريد يتعسر فى مكانه عاجزا عن فعل أى شىء. ولم يتركه الكلب الغاضب، إلا بعد أن أطلق رد فلاورز النار من مسدسه ماركة Smith&Wesson دون أن يصيب الكلب. انتزع الكلب المسدس ماركة Smith&Wesson من يده وانطلق به مسرعا وهو يجر العربة المقلوبة فى اتجاه الوادى.

تكلم فانتسنريد فى التليفون. فكر الكونت أن البيزنس قد انفتح على مجالات جديدة، فمنذ أن صار عضوا فى مجلس الإدارة، وهو يبيع بجانب اللوحات المزورة، التى يشك فى أنها ربما تكون حقيقية، بل هى حقيقية بالفعل، بينما يؤكد أنها مزورة، والتى كان يبيعها فقط للزبائن الذين يستفسرون من مجلس الإدارة ليتأكدوا أن اللوحات حقيقية، لكن أغلبها مسروقة من قصور هؤلاء الذين يأتون فى فصل

الصيف، كى يستريحوا من شقاء الثراء وأعباءه، بسعادة الفقر وبهجته. فكر الكونت فون كوكسن فى أن يبلغ شارع مينرفا بالأمر، لكنه قرر أن يقوم بالمهمة بنفسه. فى الظهيرة، توقفت سيارة آستون مارتن وسيارتان كاديلاك أمام المنتجع. خرج الكونت فون كوكسن من السيارة الآستون مارتن، وخرج ولده بالتبنى من الكاديلاك. كانت المرة الأولى التى يأتى فيها الكونت إلى المنتجع، بشعره الأشقر، وبمونوكله اللامع على عينه، فى يديه قفاز أبيض، يمشى بجواره كلبه الدوبرمان. قاده فانتسنريد إلى القاعة.

"كان على أن أكلم زيوريج فى التليفون" قال فانتسنريد

"كان عليك؟" سأله الكونت مستهجنًا

"إنه أمر" قال فانتسنريد

"ولماذا لم تتفذه؟" سأله الكونت

همهم فانتسنريد بأنه اعتقد أن لشتشتاين أقرب من ذلك

"على الحمار ألا يفكر، عليه أن يطيع" قال له الكونت، وراوده إحساس بأن الحارس الليلي يكذب.

على الأريكة، يرقد جو ماريجوانا على بطنه وهو يتألم بشدة.

"أين الآخرون؟" سأل فون كوكسن، وعندما لم يجب فانتسنريد، أمره فون كوكسن بصوت خشن عال: "إلى بالجميع!"

امتألت القاعة تدريجيًا بوجوه كئيبة متجهمة، جاء البعض وفى أيديهم الرشاشات.

هناك خلل ما. أن يكون المنتج في الشتاء مكاناً للاختفاء، فكرة عبقرية ولا شك، ربما كانت فكرة منظم المداخل في هيدسون، وربما فكرة رافائيل ورافائيل ورافائيل، لكن تلك الحادثة التي أبلغه بها فانتسريد لم تكن في الحسبان. كان لابد وأن يؤخذ عامل الملل في الاعتبار، كمصدر لإثارة المشاكل. ربما أراد منظم المداخل في نيويورك أو هؤلاء في شارع مينرفا أن يتخلصوا من العصابة. أو ربما لم يعملوا حساب الملل، بل ربما كان فون كوكسن نفسه هو المسئول عن تلك الحادثة بكلاسيكيته الأدبية، يا الله، لو أنه شاهد تلك الوجوه، لابد وأن يصيبهم الملل. ربما كان عليه أن يبلغ رافائيل ورافائيل ورافائيل، ربما أرادوا له أن يتخذ القرار بنفسه، ربما أراد مكتب المحاماة في شارع مينرفا ٣٣، أن يقوم هو بنفسه بإبلاغ الشرطة... عندئذ يكون الكونت مستأجراً لمنتجع خال. عليه أن يخرج من المأزق. ما حدث في نيويورك، كان درساً جيداً بالنسبة له. لن يسمح لمجلس الإدارة أن يحطمه مرة ثانية. جو ماريجوانا ما زال يئن ويتوجع. اقترب منه الكونت. كان الجرح غائراً. لابد وأن يكون كلباً شرساً هذا الكلب. تسائل عما يمكن فعله، بالطبع لا يمكن إرساله لمستشفى المقاطعة.

"العياذ بالله" قال جو ماريجوانا، وذكر اسم عيادة خاصة في أسكونا، في سترادا ديللا كولينا.

لكن الكلب الشرس قد عض الرجل، والفتاة قد اغتصبت. من حسن الحظ أن الشرطة لم تتحرك حتى الآن. هناك مخرج واحد لهذا المأزق. لقد اصطحب معه كلبه الدوبرمان من أجل أن يحميه، أما

الآن، فربما أمكن للكلب أن يساعده فى هذا الموقف الحرج الذى تسبب فيه مجلس الإدارة. أشعل الكونت سيجارة، ثم نظر حواليه وتساءل:

"من؟"

صمت

أوقف الكونت فانتسنريد أمامه وقال له آمرًا: "استدر"

استدار فانتسنريد

أمره الكونت: "أنزل بنطلونك"

فك فانتسنريد البنطلون وتركه يسقط

أمره الكونت: "انحن"

انحنى فانتسنريد. هنا اتضح الموقف لفانتسنريد، وتوقع ما سوف يحدث، مؤكد سوف تجرى له عملية مرة ثانية، ولكن فى مكان آخر. كان مصيبًا فى توقعه. لقد دفع الكونت الكلب لأن يعضه فى مؤخرته. ذهب الكونت إلى التليفون وأبلغ الشرطة أن كلب عمدة البلدة قد عض حارس المنتجع. بهت الرجل. لم تهتم الشرطة كما توقع الكونت، ربما لم يكن ضروريًا إذن أن يأمر برتا، هكذا يدعى الكلب، بعض الرجل. وأمر السادة، هكذا دعاهم، بالاختفاء فى البدروم. ركب سيارته الآستون مارتن ومعه كلبه الدوبرمان وانطلق عائداً إلى لشتشتاين. أخذ أوسكار الحارس إلى المستشفى، وأخذ ادجار جو ماريجوانا فى السيارة الكاديلاك الثانية فى طريقه إلى

آسكونا وهو فى حالة رعب. أما السادة فقد نفذوا الأمر.

فى هذه الأثناء، كانت الفتاة قد وصلت إلى البيت. وكان أبوها بريناندر عمدة البلدة مشغولاً بتقطيع الأخشاب فى الشونة. كان إنساناً كئيماً، بليذاً، صعب المراس، له فك مسحوب على وجهه مستدير، شعره الكث الخشن. كان يمكن أن يكون إنساناً مرحاً، لو أنه أنجب ولداً، لكنه الآن بلا ولد، وزوجته قد ماتت، وليس هناك سوى إلزى ابنته، التى يعاملها بجفاء وخشونة، لمجرد أنها بنت، حتى أنه سألها أول ما سألها عن الكلب مانى، دون أن يهتم بإلزى نفسها. لا أعرف أين هو، هكذا ردت على سؤاله. إنه يعتقد، أن الكلب سوف يأتى، فهو يعرف طريقه جيداً، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها الكلب وهو يجر العربة المقلوبة، بين أسنانه المسدس ماركة Smith&Wesson حمداً لله، مانى بخير، لم يحدث له شىء، كلب طيب، كلب طيب، ولم يلحظ أنه عاد بدون قسط اللبن.

حوالى الساعة الثانية بعد الظهر، انطلق رجل الشرطة لوستنفايلر بسيارته الحبيب إلى القرية. لقد أصبح رجل شرطة بواسطة أبيه مستشار الحكومة السيد لوستنفايلر، فلقد كان طوله ينقص ١٥ سم عن الطول القانونى المطلوب. لكنه لم يعمل شيئاً طول حياته سوى أن يأكل بشراهة، كان يقول أنه كان يرغب فى أن يكون إما رجل شرطة أو حارس قطار فى محطة السكك الحديدية، حتى لا يفعل شيئاً، ويتفرغ للأكل، وبما أن السكك الحديدية قد رفضته بشدة، فلم يبق أمامه سوى الشرطة، وهكذا أصبح فى النهاية، شرطياً فى نقطة شرطة قرية وادى الفوضى، التى تبعد اثنتا عشر كيلو متراً عن

القرية. توقف لوستنفايلر بسيارته الجيب أمام منزل عمدة البلدة، لكنه لم ينزل، بل أطلق آلة التنبية. ظهر رأس مانى الضخم فى كوخه، ثم اختفى. انفتح باب البيت وخرج منه العمدة.

"أهلاً" حياه الشرطى

"ماذا هناك؟" تسائل العمدة. ظهر رأس مانى الضخم ثانية

"لا شىء" رد الشرطى

"إن لا شىء" قال العمدة وعاد داخلاً البيت. خرج مانى من كوخه، تمطع، تثائب اقترب من السيارة، شعر لوستنفايلر بالخوف، ظل فى مكانه متسماً، ممسكاً بعجلة القيادة، ساكناً لا يتحرك. تشمم الكلب السيارة، استدار، وعاد إلى كوخه برشاقة. أطلق لوستنفايلر بوق السيارة، مرتين، ثلاث مرات. خرج العمدة من بيته ثانية

متسائلاً: "ماذا إذن؟"

"يجب أن أتكلم معك" رد الشرطى

"تعال إذن" قال العمدة وأراد أن يعود

"لا يمكننى" قال الشرطى "الكلب.."

"ماذا عن مانى؟" تسائل العمدة. خرج الكلب ثانية من كوخه

"إنه يعض" قال لوستنفايلر، وهو يراقب بحذر وخوف الكلب الذى يقترب منه

"كلام فارغ. إنه لا يعض" قال العمدة. هز الكلب ذيله، وفجأة قفز الكلب داخل السيارة وابتدأ فى لحس وجه لوستنفايلر

"مانى، إلى الكوخ" أمره العمدة بهدوء

ذهب الكلب بهدوء إلى الكوخ ودخل فيه

"أرأيت كم هو طيب" قال العمدة

"لقد عض الكلب حارس المنتجع" أكد الشرطى

"لم يحدث" قالت إلزى وهى آتية من داخل البيت "لم يحدث قط.
لقد اعتدى على رجلان، أحدهما أخذنى.. فى اللبن. انظر كيف أبدو
يا لوستنفايلر، أترى الكدمات والخرابيش، أبى لا يراها، هو الوحيد
الذى لا يراها، والآخر عضه الكلب.

"اخرسى" وبخها أبوها "ماذا حدث؟"

"لقد وقع القسط واندلق اللبن" قالت إلزى، بعدها أخذنى أحدهم
وسط اللبن المدلوق و..." اندفع العمدة داخل المنزل وعاد وفى يده
المسدس Smith&Wesson

"لقد أحضر مانى هذا المسدس بين أسنانه " واتجه إلى إلزى قائلاً
" اقفلى فمك، لقد كان فى حالة هياج زائد"

"أبلغت تليفونياً أنه عض حارس المنتجع" قال الشرطى وتسائل
"بحق الشيطان ما الذى حدث وسط اللبن المدلوق؟ لابد وأن تعرف
الشرطة كل شيء"

"يمكن لرجل الشرطة أن يتخيل، ما الذى يمكن أن يحدث وسط
اللبن المدلوق بين رجل فحل وفتاة ساذجة مثلى" أجابت إلزى
فكر لوستنفايلر برهة، ثم قال "تقصدين؟.."

"لا تسأل مثل هذه الأسئلة الساذجة" أجابت إلزى

"الرجلان الاثنان؟" سألها الشرطى

"الاثنان" قالت إلزى ودخلت للبيت

"الاثنان" كرر الشرطى وهو يهز رأسه

"إلزى تخرف" قال أبوها

"غريب" قال لوستنفايلر وانطلق مع العمدة إلى المنتجع.

كانت بوابة المنتجع الرئيسية مغلقة، كذلك المدخل الجانبي، حيث كان قسط اللبن الفارغ ما زال ملقى على الأرض، حوله بقايا اللبن المسكوب. نادى بصوت عال، لم يأت أحد. " غريب" قال الشرطى، فعاد الاثنان إلى نقطة الشرطة. لقد حول لوستنفايلر نقطة الشرطة التى يعمل بها أكثر من عشرين عاماً إلى مطبخ مجهز كامل، على الحائط علقت أنواع السجق المتعددة وأفخاذ الخنازير المدخنة، فى أغلب الأركان هناك شئ يغلى أو يسلق أو يتشرب أو يتبخر أو يتحمر أو يشوى، صفوف من الآنية المليئة بالمخللات، على الطاولة لحم مفروم وبصل وثوم وبقدونس وشبت وكرفس، علب مفتوحة من التونة والسردين والأنشوجة، بيض مسلوق وخس، وسطهم تقارير فنية عن حوادث وصور لمجرمين وجرس ومسدس.

"عملت شوربة لحمة بالكرفس والبهارات والحبان، إنما فاخرة"
قال لوستنفايلر وهو يغرف لنفسه سلطانية ملاًها حتى آخرها من الإناء الذى يتصاعد منه البخار، وضعها على المكتب وابتدأ فى

تناولها، أثناء كتابته المحضر على الآلة الكاتبة، أحضر سلطانية ثانية ثم الثالثة، انتهى من كتابة المحضر، أخذ المحضر وقرأه، مسح بقايا الشوربة من على المحضر، وطلب من العمدة أن يوقع على أقواله. قطع بالسكين قطعة من دهن الخنزير المعلق على الحائط، فى نفس اللحظة التى دخل فيها أوسكار فون كوكسن نقطة الشرطة يفوح منه العطر وهو يتبختر

"يجب التخلص من الكلب" أكد بشكل قاطع

"ومن تكون سيادتكم؟" سأله الشرطى وهو يمضغ دهن الخنزير

"أنا وكيل مؤجر المنتج" رد أوسكار

"الواعظ، الفقراء لهم الجنة؟" تساءل الشرطى وهو ما زال يمضغ

"إنه يؤجر المنتج فى الصيف، بينما أبى الكونت فون كوكسن يؤجره فى الشتاء"

قال أوسكار

"غريب" ردد الشرطى وهو ما زال يمضغ "من لشتنتشتاين"

"يجب التخلص من الكلب" أكد أوسكار ثانية

"مانى برىء" قال بريتاندر "أنا عمدة البلدة، وهذا الكلب كلبى"

"لقد مزق مؤخرة الحارس" قال أوسكار

"لأن ابنتى إلزى قد اغتصبت" رد العمدة بسرعة

"غريب" قال الشرطى للمرة الثالثة

"لقد عاد الكلب بمسدس بين أسنانه، مسدس مازكة
Smith&Wesson" قال العمدة

"الذى يعضه الكلب فى مؤخرته ويمزقها بهذا الشكل، لا يسحب
مسدسه ولا يغتصب فتاة" قال أوسكار، بينما كان الشرطى يدهن
الخبز بالزبد، ويضع فوقه قطع دهن الخنزير. واصل أوسكار "ولو أن
الفتاة تؤكد أن الكلب قد عض مؤخرة أخرى غير مؤخرة الحارس،
فسوف يكون من السهل العثور على تلك المؤخرة المشوهة، لكن مثل
هذه المؤخرة لا وجود لها "

"لأنه كان أكثر توحشاً، لكانت المؤخرة بكاملها قد اختفت" قال
العمدة غاضباً

"مانى برىء. شىء ما غامض فى هذا المنتجع، عندما يسكن
الحارس وحده هناك، فلماذا يحتاج إلى قسطين من اللبن فى الأسبوع،
يستحيل أن يشرب الحارس بمفرده كل هذه الكمية"

"لن أتناقش معك أكثر من ذلك، فأنت منفعل" قال أوسكار "جروح
غائرة ومتهتكة فى جسد الرجل، سنقدم بلاغاً بذلك" وخرج، جلس فى
الكاديلاك وعاد إلى المنتجع

"هل ما زلت تؤكد أن إلزى قد اغتصبت بالفعل؟" سأله الشرطى
وهو يمضغ

"ما يهمنى هو الكلب" رد العمدة "مانى برىء"

"إذا كانت إلزى قد اغتصبت، فهو الكلب بكل تأكيد" قال الشرطى
"عندئذ، فنحن أمام حالة زنا صريحة، ويجب التبليغ عنها فوراً، أنا

متأكد، فى مكان ما توجد علبة فاصوليا

"جميل" قال العمدة "إذن، اتخذ إجراءات التبليغ"

"ضد الحارس؟" سأله الشرطى وواصل البحث فى كومة من
العلب التى تدرجت على الأرض.

"ليس ضد الحارس. بل ضد المغتصب" قال العمدة "لكن مانى
برىء".

"جميل. كما تود" قال الشرطى "لكننى لا بد أن أكتب أقوال
الرجل الآخر وكيل مؤجر المنتجع. إننى أعمل هنا وحدى، وسوف
يستغرق إعداد المحضر عدة أيام، سأخبرك عندما أنتهى منه".

"هل ستكتب أن مانى قد عض الرجل المغتصب؟" سأله العمدة

"الرجل المغتصب والحارس الليلي" رد الشرطى وهو يفتح علبة
الفاصوليا.

"لكن عندنا مؤخرة واحدة معضوضة وليس اثنتين. كيف يمكن
كتابة ذلك؟"

"وماذا لو لم تكتب شيئاً؟" سأله العمدة.

"عندئذ يكون كل شىء على ما يرام، مؤخرة الحارس الليلي
كذلك كلب العمدة، وينتهى الموضوع" قال الشرطى وهو يسكب
الفاصوليا فى الكسرولة مع شوربة اللحم

"إذن لا تكتب شيئاً" قال له العمدة وعاد إلى البيت.

لم يشغل العمدة بال الكونت فون كوكسن. لكن ما حدث برمته كان شيئاً شديد السخف بالنسبة للكونت. كان متأكداً أن تلك الواقعة من تدبير أحد جهتين، أما من جهة منظم المداخل، أو من تدبير أحد زبائن رافائيل ورافائيل ورافائيل، أو من تدبيرهما معاً - إن لم يكونا نفس الجهة - ليوقعوا به فى المصيدة. يؤكد ذلك، أنه عندما ذهب إلى شارع مينرفا ٣٣، قابله ثلاثة رجال آخرين غير رافائيل ورافائيل ورافائيل. كان ثلاثتهم يتميزون بالبداية والسمنة المفرطة، لا يفرقهم سوى اللغد: مزدوج وثلاثى ورباعى. وقد كان رأى ذى اللغد المزدوج، أنه كان عليه أن يخبرهم حال وقوع الحادث، بينما رأى ذو اللغد الثلاثى أنه أفسد كل شيء بفكرته السخيفة تلك، بأن يدفع كلبه لعض الحارس، هنا أمر ذو اللغد الرباعى فون كوكسن بأن يصلح الأمور بنفسه فهذه مسؤوليته. لقد لاحظ الكونت أيضاً أن المنزل بشارع مينرفا قد تغير عما كان من قبل، وصار آيلاً للسقوط، لكن رقم المنزل لم يتغير، فلقد قرأ الرقم قبل دخوله. كانت غلطة مجلس الإدارة وليست غلطته، أن يحاول رافائيل ورافائيل ورافائيل أن يحملوه مسؤولية هذا الخطأ، لكن هذا طبيعى من هؤلاء الذين يحصلون على ستين فى المائة من ثمن اللوحات الحقيقية التى يبيعها، والآن يسامونه عن طريق وكلاء آخرين، وقاحة لا تليق. انه فى ورطة حقيقية. اغتصاب فتاة قاصر، قضية واضحة سيبت فيها القضاء. لكن كلبى الدوبرمان قد عمل على تخفيف الموقف ولا شك، لا، لم تكن فكرة سخيفة، بل ومضة عقلية مشعة. يجب عليه أن يرفع الدعوى قبل أن يسبقه العمدة. قدم للمسئول فى عاصمة المقاطعة مذكرة للمطالبة بتعويض عن الضرر.

فى صباح أحد أيام ديسمبر خاض الشرطى لوستتفايلر وسط
الجليد، الذى تساقط أخيراً، حتى وصل إلى دار العمدة، كى يخبره
وهو يشير على مانى الذى قابله وسط الجليد هازاً ذيله، بأن الكلب
لابد وأن يقتل رمياً بالرصاص، فلا يجوز أن يطلق مثل هذا الحيوان
الخطر يتجول بحرية بين المواطنين، هكذا كانت فحوى الخطاب الذى
وصله من عاصمة المقاطعة. أصابه الجنون ولاشك لوستتفايلر، هكذا
فكر العمدة، إنه لم يبلغ عما حدث لابنته إلزى من أجل أن يحمى
مانى. قال الشرطى أنه لم يبلغ شخصياً عن الكلب، إنما الذى بلغ هو
الكونت فون كوكسن، والقانون قانون. يجب أن يقتل مانى رمياً
بالرصاص، فهو شخصياً يخاف منه، بحجمه الضخم هذا. قال العمدة
بهذوء ينذر بالخطر وهو يحضر بندقية الصيد، على لوستتفايلر أن
يبتعد شخصياً عن هذا الموضوع، هذا وإلا سوف ينطلق الرصاص.
ليس على الكلب. لم يكن يود أن يسمع ذلك منه، قال له الشرطى
وخاض فى الجليد حتى سيارته الجيب وانطلق. نادى العمدة على
إلزى، لكنها لم تكن هناك. هذه البنت الملعونة، فكر الرجل، لو أنه
يعرف ماذا حدث بالضبط. لكن إلزى ظلت مختفية. لقد خاضت الفتاة
وسط الجليد إلى الوادى، وعندما عبرت سيارة الشرطى الجيب،
اختفت وراء كومة من الجليد. مرت خلال الطريق الرئيسى، ثم فى
اتجاه المنتجع حيث كان الشارع مغطى بطبقات سميكة من الجليد، لم
يعد أحد فى حاجة إلى اللبن، فقد كان الحارس ما يزال فى المستشفى.
خاضت إلزى وسط الجليد حتى وصلت إلى المنتجع، توقفت عند
مدخل الجراج، تطلعت إلى المنتجع، كانت ترتدى بلوفرها الأحمر
السميك وقلنسوتها الحمراء. كان انعكاس الضوء على الجليد ينعكس

بدوره على المنتجع من خلال أشجار الحديقة، أحست بشيء يلحق
يدها، لقد كان ماني، الذي كان يبحث عن إلزى، أمرته بالرجوع
للبيت، فعاد مسرعًا متدحرجًا على الجليد. اقتربت إلزى من المنتجع،
لاحظت وجود آثار أقدام حديثة، تتبعتها حتى المدخل الجانبي، توقفت
إلزى، انتظرت برهة، نادى بصوت عال، دارت حول المنتجع وسط
الجليد المتراكم، ثم عادت لآثار الأقدام. اشتدت برودة الجو فجأة. لم
يعد ضوء الشمس ينعكس على المنتجع، بل كان يتسلل وسط أشجار
الغابة، ويضيء الكتل الصخرية.

كانت القرية ترقد في الظل منذ فترة طويلة. وكان العمدة منشغلًا
بنحت تمثال لماني، فمنذ أن صاحبه ماني، قرر أن يصنع له تمثالاً
من الخشب "ماني وهو جالس القرفصاء" وهكذا يخلد ماني ويعيش
إلى الأبد. لكن التمثال كان بعيد الشبه عن الكلب، فرأس التمثال لم
تكن شبيهة برأس ماني، وعندما كان يقترب من ذلك، يصبح الجسم
كبيراً، فيقتطع من الجسم بعض الأجزاء، فيصبح الرأس غير مناسب،
وهكذا تصغر كتلة الخشب شيئاً فشيئاً، حتى تصل إلى حجم كلب
بودل صغير، له رأس كلب ضخم أفطس الأنف، لقد كان العمدة يعمل
دون تركيز كاف. توقف عن العمل ووضع أدوات النحت جانباً،
وأحضر كتلة جديدة من الخشب. هناك خطأ ما، ليس في النحت
وحده، لم يكن ذكياً في تعامله مع إلزى، كما أنه لم يكن قادراً على
التفاهم معها، لم يهتم قط بماذا تفعل وأين توجد. كان الكلب مختفياً هو
الآخر، لكنه الآن يرقد أمام باب البيت. خاض العمدة في شوارع
القرية، نبج الكلب خلفه، أفرغته فكرة أن يتبعه. كانت القرية تغرق

فى سكون وصمت. الشوارع مغطاة بالجليد المتراكم الكثيف. سقط الرجل فى حفرة جليدية، أبواب المنازل يسدها الجليد، تاكسيان أمام الجراج تكسوهما طبقات كثيفة من الجليد. خرج زافانيتى من بار "سلخانة الحديقة" ودلف إلى محله لبيع الكتب القديمة. ما زال هناك علامات حياة. وضعت الأرملة هونجربوهر خطابها اليومى فى صندوق البريد. سمع صوت آتيا من ناحية المدرسة ينشد: "اتركنى هنا أيها الرفيق المخلص، اتركنى وحدى على الصخور، وسط المستنقع بين الطحالب، فقط استمر، استمر فى ذلك، واصل، فالعالم بالنسبة لكم عالم مفتوح، والأرض متسعة مفرودة، والسماء رائعة بلا حدود، راقبوا، ابحثوا، اجمعوا التفاصيل، اكتشفوا أسرار الطبيعة" كان صوت أدولف فرونتن ناظر المدرسة. جاء منذ سنوات من عاصمة المقاطعة واستقر هنا بوادى الفوضى، حكمة القدر، هكذا كان يقول لنفسه، كانت القرية مهملة منسية، كغيرها من الأماكن، فليس هناك سبب للضييق والتدمير. كان فى حوالى الستين من عمره، له شعر أحمر نارى ولحية حمراء نارية، وحواجب بيضاء كثيفة، تظلل عينيه الزرقاوين، وكان مليئاً بالنمش فى كل مكان، حتى أنه كان يقول عن نفسه، أن أمه قد نسيت أن تجففه عند ولادته. كان يكتب قصصاً رقيقة غريبة: "آباء أب أبناء زيبيدوس"، "ماذا يحدث لو أن كبير الأساقفة مورتيمر صار حاملاً؟" "هادى لكنه مخيف"، "شكوى المواشى والنساء"، "توقف أبواق أريحا"، جميعها فى حوالى أقل من خمسين صفحة، نال عليها جائزة ماتياس - كلاوديوس، وسافر بدعم من مؤسسة بروهلفيتسيا الثقافية ومعهد جوته إلى كل من كندا

والاكوادور ونيوزيلنده، قام وهو سكران بضرب مدير إدارة التربية والتعليم، نقل بعدها ناظرًا لمدرسة قرية وادى الفوضى، التى لم يتركها منذ أن حل فيها. كان من أوائل الذين تأثروا بكتابات روبرت فالسر، الذى قام بوضع أسس الأدب السويسرى القومى الساذج، لذلك كان إنتاج فرونتن الأدبى لا قيمة له. ورغم ذلك لم يتوقف عن الكتابة، بل على العكس. كان يكتب بلا توقف، يكتب وهو ينشد، يكتب وهو يسكر، يكتب أثناء الدرس فى حصص المدرسة، ثم ينتزع الأوراق التى كتبها، ويلقى بها بعيدًا فى أى مكان، كانت الأوراق مبعثرة فى المدرسة، وفى الشارع، وفى الغابة، على الناحية الأخرى من الوادى وراء المنتجع. تدريجيًا، اختزل كتاباته إلى جمل مكثفة مركزة، كان يطلق عليها اسم "دعامات فكرية" كانت عبارة عن جمل مثل " الرياضيات ما هى إلا صورة منعكسة للميلانخوليا "، "الفيزياء، تكتسب المعنى كدسياسة"، "الإنسان هو الذى اختلق الطبيعة"، "الأمل يفترض وجود الجحيم ويؤثر فيه"، وأحيانًا كان يصل بالاختزال إلى حده الأقصى، ويكتب فقط مفردات متناثرة، مثل: عصر جليدى، رؤيا، روح ميدوزا، نقود كعبآخيل. وكان الناشرون يأتون بحماس ملفت لجمع هذه الأوراق المكتوب عليها تلك الملاحظات من تلاميذ المدرسة، التى كانوا يحتفظون بها ويبيعونها للناشرين. ولقد تم نشر "الدعامات الفكرية" فى خمس مجلدات، تناولها النقاد بإعجاب بالغ، ما عدا أحدهم الذى أكد أن كونرادين ابن زافانييتى الذى لم يتجاوز الخامسة عشر من العمر يقوم بتقليد خط فرونتين، ويكتب أوراقا عليها "المدرسون يضربون ألمانية فصحي"، "سكر فوق ونؤلف

تحت". إلخ ولما أعلن أحد الناشرين عن قرب صدور رواية "حبلى المصيدة" للكاتب فرونتن، غضب فرونتن ونفى ذلك بشدة، وبشكل عام، صار عدوانيًا مع زملاءه فى اتحاد الكتاب. كان يخفى عندما يأتى النقاد والصحافيون، يحملق فى وجوههم ولا ينطق بكلمة واحدة. ذات مرة، أعجبه صحافية شابة، أخذها إلى منزله، ألقى بها على السرير، ضاجعها، وطردها من المنزل، دون أن يبادلها كلمة واحدة. كان دائمًا لا يوفق فى انتخابات الجمعية العمومية للمدرسة. سادت الفوضى المدرسة، لكنه استمر فى الكتابة، وفى تعنيف التلاميذ، ملقبًا فى الهواء بفردة حذاه التى لا يربطها قط. قابل إلزى ذات مرة، كانت الذنب واضحة على جبهتها. تعلمت معه بصعوبة مبادئ الكتابة والقراءة وجدول الضرب. وبما أنه لم يجد شخصًا آخر، استمر فى الكتابة وفى السكر. كما أنه كان مفيدًا لأهل القرية، فقد كان يكتب المكاتبات الرسمية للعمدة. كان العمدة يحبه، بالرغم من أن فرونتن كان يتحدث دائمًا بالألمانية الفصحى، التى كانت تشكل صعوبة بالنسبة للعمدة. صعد العمدة للطابق الأول من المدرسة، حيث يسكن فرونتن. كان فرونتن جالسًا فى المطبخ أمام المائدة، وأمامه نصف زجاجة روم. كان يكتب. جلس العمدة فى مواجهته. صب الناظر لنفسه بعض الروم واستمر فى الكتابة، نهض من مكانه، فتح شباك المطبخ، وألقى بما كتب من الشباك وأغلقه، أحضر كأسًا أخرى، وضعها على المائدة أمام العمدة، ملأها بالروم ثم جلس.

"تكلم" قال للعمدة وجلس يستمع إليه وهو يحكى همومه.

"بريتاندر" قال فرونتن "أنا لا أريد أن أتدخل فى هذا الموضوع. فالذى يهملك فى الأساس هو الكلب. وأنا أكره الكلاب. الشاعر جوته أيضاً كان يكره الكلاب. لقد تنازل عن وظيفة مدير مسرح لأن العمل استوجب وجود كلب، وأحضروا الكلب بالفعل. من المحتمل أن يكون مانى استثناء بين الكلاب، كلب شاعرى مثل مفيستوفوليس. لكنه لم يعد من الممكن إنقاذه. لقد عض الرجل بشكل بشع.

لا يمكننى بالطبع أن أؤكد وسط تلك الفوضى، أية مؤخرة قد مزقتها، مؤخرة من بالتحديد. دعنا من تلك العاصفة أمام المنتجع. لكن إلزى فتاة مغرية بالفعل، هذه حقيقة، وعجيزة الحارس حقيقة أيضاً، وعلينا أن نترك الحقائق كما هى.

"ماذا تقصد بقولك: وسط تلك الفوضى؟" سأله العمدة.

"أيتها البجعات الساحرات، تسكرن من القبلات وتصبغن أجسادكن العارية بالماء العذرى المقدس" كنت أنشد ذلك وأنا فى الغابة خلف مبنى ملحق المنتجع، قال الناظر. كلام لا معنى له، فلا البجعات تقبل بعضها، كما أن أجسادها ليست عارية، أما كلمة "تصبغن" فهى كلمة بشعة، تلك التى تحول الماء العذرى المقدس إلى قهوة باللبن. أكثر بشاعة، ما رأيته يعينى يحدث أمام المدخل الجانبى. بريتاندر. بريتاندر، أرجوك" توقف عن الحديث، صب روم لنفسه، وظل صامتا.

"أكمل، ماذا حدث؟ ماذا رأيت؟" سأله العمدة

"كانوا يتمرغون جميعهم هناك وسط اللين المنسكب" أجاب الناظر "إلزي، ورجل، ورجل آخر، وكلب، لقد سمعت صرخات العناصر وأنا فى الغابة وراء المنتجع"

صب لنفسه بعض الروم "أنصحك يا بريتاندر: لا تقحم نفسك فى هذا الموضوع. إلزي قوية بما فيه الكفاية، سوف تتحمل ذلك. حقيقة، هى لا تحتاج لمساعدة من أحد، فهى أقوى منا جميعًا. أما الكلب، هل حقيقة أنه ليس كلبك، لكنه لجأ إليك؟"

"لقد جاء إلى القرية على سبيل الخطأ" رد العمدة.

"مثلى تمامًا" قال فرونتن "لقد جئت أنا أيضًا إلى هذه القرية على سبيل الخطأ".

ما الذى يتبقى للمرء فى هذا البلد؟ يا حضرة العمدة، إلا أن يأتى إلى هذا المكان على سبيل الخطأ؟

حملق فى المطلق، ونسى العمدة، ولم يلحظ إن كان ما زال يستمع إليه، أم أنه قد انصرف، اندفع إلى شباك المطبخ، فتحه بعنف وصرخ: "اللعة على السيدة فون شتاين".

ثار العمدة كقروى ساذج ثورة عارمة لأن إلزي قد اغتصبت، حاول الشرطى لوستفابيلر تهدئته، قائلاً أن إلزي قاصر تحت السادسة عشر، وأن هذا يعتبر تغريراً بفتاة قاصر. هنا اشتعل العمدة غضبًا، لأنه لم يقم بالتبليغ فى حينه عن اغتصاب إلزي، كان ذلك خوفًا من أن يبلغ أحد عن الكلب، الشئ الذى حدث بالفعل. والآن يجب عليه أن ينقذه، إلزي وقد اغتصبت والحمد لله، وناظر المدرسة شاهد ذلك

بعينه. ولأنه قروى هادىء الإيقاع، فلكل شىء وقته، فلم يسافر إلى عاصمة المقاطعة إلا فى أواخر شهر فبراير، أخذ أوتوبيس البريد إلى القرية المجاورة، ثم أخذ القطار القشاش الذى يتوقف عند كل قرية، حتى وصل إلى العاصمة. كان قد سجل اسمه، يطلب مقابلة ممثل الحكومة فى المقاطعة، ومن واجب ممثل الحكومة أن يستمع إلى العمد، الذى يبلغ عددهم فى المقاطعة أكثر من مائتى عمدة، لذا فلا وقت لديه للمجاملات.

"بريتاندر" قال له بحدة ممثل الحكومة، والمشرف على أجهزة القضاء وعلى أجهزة الشرطة فى نفس الوقت، دون أن يعطى الفرصة للعمدة أن يقدم شكواه،

"أعرف الموضوع كله، مؤجر المنتجع يطالب بتعويض عن الضرر الذى أصابه، حيوانك الملعون دمر عجيزة الرجل، ورغم ذلك ما زال الكلب حرًا طليقًا، المسكين لا يمكنه الجلوس على قاعدته، لقد تمزق تمامًا الجزء المصاب من الجسم، ربما يستحيل أن يرجع لطبيعته ثانية، وتصبح عاهة مستديمة. ألا يزعجك هذا يا بريتاندر؟ ما زال أمامك الكثير، فنحن ما زلنا فى البداية، وأنا لا أقصد سوى مصلحتك، كن متعاونًا واقتل الكلب"

"على رجال المنتجع، أن يكونوا متعاونين" رد العمدة "لقد اغتصبوا ابنتى إلزى، ومانى كان يدافع عنها"

"اغتصبوها؟" تساءل ممثل الحكومة منزعًا "الحارس الليلي؟ الذى عض فى مؤخرته"

"لا، رجل آخر هو الذى اغتصبها، لقد عض الكلب الرجل الخطأ" أجاب العمدة، قطب ممثل الحكومة جبينه، وسأله مندهشاً: "وتبلغ عن ذلك الآن؟!"

"لقد اعتقدت أن ذلك سوف يحمى مانى، وأنه لن يحدث له شيء، لو أننى لم أبلغ عن ذلك" رد العمدة مفسراً

رجع ممثل الحكومة بظهره فى المقعد وقال "بريتاندر، يجب ألا نوهم أنفسنا، فالفتيات فى هذا العمر يعشن رغباتهن البذيئة فى خيالهن الخصب "

"عندى شاهد على ما حدث" قال العمدة

"شاهد. عندك شاهد" رد ممثل الحكومة "من هو يا ترى؟"

"فرونتن، ناظر المدرسة" أجاب العمدة

"الشاعر. الشاعر إذن" قال ممثل الحكومة "إذا رغبت فى تقديم بلاغ عن حالة اغتصاب قاصر، يجب أن تقدم البلاغ إلى الشرطة، التى ترفعها بدورها للنيابة العامة، التى تحولها بدورها للقضاء المختص"

"هذا يعنى، أن نبدأ من أول وجديد" تساءل العمدة منفِعلاً

"النظام نظام"

"سأقدم البلاغ" قال العمدة

"بريتاندر" أجابه ممثل الحكومة "أنت مخك ناشف، ومتصلب
الرأى، وسوف يجر ذلك عليك المشاكل، وعلى القرية بأكملها، وتكون
النهاية غير طيبة. لا يمكننى أن أقول لك الأسباب. أنت تعتقد بصفتى
ممثلاً للحكومة فى هذه المقاطعة، وأن أجهزة القضاء وأجهزة الشرطة
تحت امرتى، تعتقد أننى أعرف الكثير أكثر منك. أقول لك إننى لا
أعرف إلا أقل القليل. إن بلدنا هذا هو أكثر البلاد غموضاً فى العالم.
لا أحد يعرف ماذا يخص من، ومن يلعب مع من، ومن يقوم بدور
أوراق اللعب، ومن الذى خلطها وستفها ورتبها. نتشدد طوال الوقت
بأننا بلد حر، مع أننا لسنا متأكدين، أننا ننتمى إلى أنفسنا. إن قصة
إلزى وكلبك لا تعجبني، كما أن موضوع مؤخرة الحارس موضوع
سخيف. أى حارس ذلك الذى يمكن أن يعرض فى هذا المكان؟ وهذا
الكونت فون كوكسن أيضاً هل يوجد أصلاً مثل هذا اللقب؟ ومن
ليشتشتاين كذلك. يريدون أن يكونوا نمساويين وسويسريين فى نفس
الوقت، أهل ليشتشتاين بالذات. ماذا يفعل رجل من ليشتشتاين فى
وادی الفوضى وعم يبحث؟ أشياء كثيرة، تكمن خلف هذه التساؤلات،
من الأفضل أن لا نفتش عنها، كما أننا لا نفتش أيضاً فى خزائن
بنوكنا. ورفع قضية لن يغير فى الأمر شيئاً. ليس هناك داع أن تبلغ
أو أن تقيم دعوى، حتى لو كان كل ما نقوله صحيحاً فكثيراً ما يضيع
العدل، سوف أتحدث مع هذا الكونت بأن يسقط دعواه هو الآخر،
أعدك بذلك. عليك فقط، أن تقتل الكلب. وعلى كمدير للشرطة، أن
أطلب منك ذلك، سوف يفتح "بيت الفقر" أبوابه فى الربيع القادم،
وسوف تكون هناك فرصة ثمينة لمانى لعرض مؤخرات من هم أهم
من الحارس"

"لن أقتل الكلب. وسأقدم البلاغ. وسأرفع الدعوى " قال العمدة بتصميم قاطع.

نهض ممثل الحكومة واقفاً "إذن ليس أمامى سوى أن أمر بقتل الكلب. ارجع الآن لعشك بسرعة، يجب أن أذهب للحانة.

نزل العمدة من الأوتوبيس عند نقطة الشرطة، قدم البلاغ لرئيس النقطة الشرطى لوستنفايلر، الذى وجد نفسه فى هذه الحالة مضطراً لاتخاذ الإجراءات اللازمة، فلقد كان منهمكاً فى أكل موزة بتلو، سوف يحتاج ذلك لعدة أيام. بعدها بعدة أيام، ذهب إلى القرية وقابل العمدة حتى يحصل على توقيعه على المذكرة التى كتبها، ونصحه بأن يوكل محامياً، فالموضوع سوف يحتاج لوقت طويل. لم يكن يعرف لوستنفايلر ماذا يفعل بالبلاغ، فأرسله إلى شرطى زميل له بنقطة شرطة القرية المجاورة. وجد هذا الشرطى الزميل الخطاب بعد يومين صدفه، وهو يقلب فى رسائل البريد، فقام بتسليم البلاغ بيديه إلى كاتب الدائرة، الذى يعتبره أهل المنطقة قاضى الدائرة، ولما كان كاتب الدائرة مزدحماً جداً بكتابة إقرارات ضرائب المواطنين، التى يجب أن يملأها بنفسه، لم يتمكن من إرسال البلاغ إلى قاضى الفحص بالعاصمة قبل آخر شهر مارس، الذى قام بقراءته. كان قاضى الفحص يتخذ قراراته دائماً بتعجل. فى حقيقة الأمر، كان يرغب فى أن يكون طبيباً، لكن النقود لم تكن تكفى، فأراد أن يكون رجل قانون، لكن النقود أيضاً لم تكن تكفى، فأراد أن يعمل عملاً حراً، لكن النقود كانت تنقصه دائماً، وهكذا صار موظفاً، لكن الترقيات تتعثر ببطء، لم يكن هو القاضى فى حقيقة الأمر، فلقد كان القاضى الفعلى فى عطفة،

وهو لم يكن حتى نائباً له، فلقد كان النائب مريضاً، هو بالضبط نائب النائب. ومن خلال فشله، كان يرى كل شيء فى المقاطعة خاطئاً وردئياً، لذا اقتنع فى الحال بأن إلزى قد اغتصبت، وأن الكلب قد عض الرجل دفاعاً عن إلزى. كان السبب فى قناعته تلك، يرجع إلى شعوره بالإحباط والنقص، نتيجة فشله الدائم وسوء حظه المستمر، فقد كانت تنقصه الشجاعة لأن يتخذ قراراً فى البلاغ ويبدأ فى الإجراءات، فوضع البلاغ ثانية فى المظروف. فى بداية الأسبوع، عاد نائب القاضى الحقيقى إلى العمل، بعد أن شفى من نزلة البرد التى داهمته. لم يفض الرسالة، وتركها فى مظروفها كما هى، فقد كان يقول دائماً، أنه مبدئياً لا يقرأ أية رسالة تأتى من وادى الفوضى. ولم يقرأ البلاغ إلا قاضى الفحص الحقيقى بنفسه بعد عودته من العطلة. قرأه بدقة وعناية، هز رأسه قائلاً أن هناك بلاغاً آخر بطلب تعويض عن الضرر، لكنه ليس عاجلاً كما يقول ممثل الحكومة، وقد سأله بعض المحامين عما إذا كان العمدة بريتاندر قد قدم بلاغاً ضد حارس المنتجع أم لا، والآن ها هو البلاغ. وابتدأت دورات القضية، الفحوصات التى لا حصر لها، والأسئلة والاستجابات التأفهة، والمرور بدرجات التقاضى المتعددة بالجهات القضائية المختصة، حتى الوصول إلى المحكمة العليا، وعندما نصل بعد لآى إلى تلك النقطة، تكون دلوعتنا قد أنجبت خمسة أطفال، بصرف النظر من أى أب جاءوا. إن واجب العدالة الأعلى هو منع حدوث الشيء قبل وقوعه. اغتصاب! وأين؟ فى وادى الفوضى!! ذلك هو أكثر الوسائل طبيعية للعلاقة الجنسية فى تلك القرية. إنه ليس بالغبى أو الأحمق

حتى يتسرع فى دراسة الموضوع. دس البلاغ تحت كومة من البلاغات الأخرى التى لم تدرس بعد، وفى المساء وهو فى الحانة، سأل ممثل الحكومة عما إذا كان العمدة قد جاءه. هز ممثل الحكومة رأسه وهو يدخن. الرجل الطيب وابنته وكلبه، قصة ظريفة مرحلة، قال القاضى ووزع أوراق اللعب. يجب أن يختفى الكلب حتى تهدأ المقاطعة.

ظل العمدة متصلبًا فى موقفه لا يتزحزح. تنقل من محام إلى محام ومن عضو مجلس وطنى إلى عضو مجلس وطنى آخر، حتى وصل إلى محامين اثنين بمكتب مجلس المقاطعة، دون نتيجة، لم يود أحد أن يساعده. لقد اختفى البلاغ، يجب أن يضع نفسه مكان قاضى الفحص، فهو غارق فى البلاغات حتى شوشته، كما أن العمدة ليس عنده ما يثبت مبالغاة الزى، وبلاغ جديد سوف يزيد الموقف تعقيدًا، لم يبق سوى تنفيذ قرار قتل الكلب. لم يأخذ العمدة الموضوع مأخذ الجد، حتى بعد أن صدر الأمر للمرة الثالثة للشرطى لوستفایلر بأن ينفذ حكم قتل الكلب. أخذ بندقية الخدمة من على الحائط، انطلق بالسيارة الجيب حتى التقاطع، ثم سار ببطء إلى أن وصل القرية. فى مدخل القرية كان العمدة واقفًا، وبندقيته فى ذراعه أيضًا. وجواره يجلس مانى. توقف الشرطى. فكر، لو أنه أطلق الرصاص على الكلب، سوف يطلق العمدة الرصاص عليه. السؤال هو: هل يمكن أن يطلق الرصاص على الكلب بينما يقف العمدة بجواره؟ وماذا لو أنه أصاب العمدة بدلاً من الكلب؟ فكر الشرطى. ترى، هل هناك قواعد فى لائحة الشرطة تنظم مثل هذا الموقف؟ كان عنده شعور غامض

بأن هناك قوانين كثيرة فى لائحة جهاز الشرطة تنظم مثل هذه المواقف الحساسة. ولكنه لا يعرف بالضبط أية حالات وأية قوانين. وهكذا ظل الوضع كما هو عليه لمدة ساعة كاملة، الشرطى من ناحية فى مواجهة العمدة والكلب فى الناحية الأخرى. أحس الشرطى بالجوع، أخرج بسكوتة من جيبه وابتدأ فى الأكل. هز الكلب ذيله. وضع الشرطى يده فى جيبه ثانية وأخرج بسكوتة وألقاها للكلب، سوف يعمل ذلك على تهدئته، من قبل أن يقتله. وضع العمدة يده فى جيبه وأخرج بسكوتة هو الآخر. ثلاثتهم يأكلون البسكوت. العمدة والكلب والشرطى. كان الكلب أسرعهم فى التهام البسكوت. لم يصل الشرطى بعد إلى حل، يمكنه من أن يقتل الكلب. وهكذا ظل الوضع كما هو عليه لمدة ساعتين كاملتين، كل فى مواجهة الآخر. لو أنه طلب من العمدة أن يتنحى جانبًا، عندئذ يجب عليه ألا يطلق الرصاص على الكلب مباشرة، فلو أنه أطلق الرصاص على الكلب مباشرة، فسيطلق العمدة الرصاص مباشرة عليه، ولو أنهما أطلقا الرصاص سوياً فى نفس اللحظة، عندئذ سيقتل بالتأكد كل من الشرطى والكلب. لقد تعلم فى التدريبات، أنه يمكن للشرطى أن يموت أثناء تأديته الواجب من أجل الوطن، وليس من أجل كلب، هذا ما لم يسمع به طوال حياته، فالكلب ليس الوطن. لكن، لو أنه طلب من العمدة أن يتنحى جانبًا، دون أن يطلق الرصاص على الكلب، وتتحى العمدة بالفعل جانبًا، دون أن يطلق الرصاص عليه، عندئذ يمكنه أن يطلق الرصاص على الكلب، لكن، لأن الكلب أكثر سرعة منه، فسوف ينقض الكلب عليه، قبل أن يطلق الرصاص. وهكذا ظل

الوضع كما هو عليه لمدة ثلاث ساعات، كل فى مواجهة الآخر. بعدها، عاد لوستنفايلر إلى سيارته الجيب.

ما أن علق الشرطى بندقيته على الحائط، حتى طلبه ممثل الحكومة فى التليفون، ليسأله عما إذا كان قد قتل الكلب. هز الشرطى رأسه بالنفى. هل ما زال معه على الخط، سأله ممثل الحكومة، بالطبع، أجاب الشرطى. فسأله لماذا لم تجب اذن. لقد أجبت، رد الشرطى، لقد هزرت رأسى بالنفى. يعنى لم تقتله، زمجر ممثل الحكومة. لقد كان العمدة واقفاً بجوار الكلب، قال الشرطى. فسأله إن كان العمدة قد هدده. لو أنه حاول قتل الكلب، كان سيهدده بكل تأكيد، أجاب الشرطى. إن كان قد حاول أن يقتل الكلب، سأله ممثل الحكومة غاضباً بصوت عال لدرجة، جعلت الشرطى يبعد سماعة التليفون عن أذنه. ماذا كان السؤال، كان الصوت عالياً، لم يفهم شيئاً مما قال، رد الشرطى. كرر ممثل الحكومة سؤاله برقة مبالغ فيها. لم يتمكن من ذلك، خوفاً من أن يصيب العمدة، أجاب الشرطى. وضع ممثل الحكومة سماعة التليفون. بعد مرور يومين، فى الساعة الثالثة فجراً، ظهر الجاويش بلازر، رئيس نقطة شرطة القرية المجاورة ومعه ثلاث رجال شرطة آخرين من نقطة الوادى، أيجلر وستوكى وهايملتر. كل منهم يحمل على كتفه بندقية الخدمة. كان لوستنفايلر يجهز قطعة من اللحم المقدد المعشق بدهن الخنزير، مع القهوة باللبن، متى سيطلع النهار، تساعل الجاويش. ليس قبل الخامسة، أجاب لوستنفايلر وقدم لكل منهم بيضة مقلية. فى خلال ساعة، يبدأ التحرك، أكد الجاويش. حتى لا يلحظنا أحد. ساعتها يكون الكلب ما زال راقداً

فى كوخه أمام منزل العمدة. فنطلق عليه الرصاص، جميعنا فى نفس واحد، وننتهى من المهمة. وماذا إذا لم يخرج الكلب؟ سأل إيجلر. ربما لم يكن فى الكوخ أصلاً، قال ستوكى، بينما أكد هايمتلىر أنه يراهن على أنه فى المطبخ. واصل لوستنفايلر التهام اللحم بشهية واضحة، وقدم لكل واحد منهم بيضة مقالية ثانية. سنرى، قال الجاويش ورشف آخر رشفة من قهوته. هذا هو وقت الشنابس، قال ستوكى. أرجو ملاحظة أننا فى الخدمة، فى مهمة رسمية، قال الجاويش بلازر. الجو فى الخارج شديد البرودة يا حضرة الجاويش، قال هايمتلىر، أى نوع من الشنابس عندك؟ سأل الجاويش. كرويتير، أجب لوستنفايلر. لأبأس من كأس واحدة. لم يتحركوا إلا بعد أن أجهزوا على الزجاجة. فلتحضر زجاجة أخرى معك، قال الجاويش للوستنفايلر بصعوبة. كان الظلام دامساً، وكانوا يتحسسون طريقهم أثناء السير. من بعيد، كانت تسمع خشخشات مياه النهر فى الوادى. البرد شديد، قال إيجلر، كما توقعت، قال هايمتلىر. وعليكم أن تقتلوا الكلب، قال ستوكى متذمراً. الصعود شاق، أكد الجاويش. شاق جداً الطريق إلى القرية، أكد لوستنفايلر، لكننا على الطريق. هذا هو وقت الشنابس. ودارت الزجاجة على الجميع الواحد بعد الآخر. سمعت حشريات موتور قادمة فى اتجاههم من الناحية الأخرى. أفسحوا الطريق جانباً. مر أوتوبيسان بسرعة وقد أضاءوا الكشافات المبهرة. لقد أخطأوا الطريق، فالأوتوبيسات قادمة من المنتجع، كل إنسان يخطئ، علق لوستنفايلر. إنه يحتاج لكأس آخر من ذلك الكرويتير المنعش، قال الجاويش، كانت الأوتوبيسات مليئة بالرجال، قال إيجلر،

ترى ماذا كان يفعل كل هؤلاء الرجال فى المنتجع، والمنتجع مغلق؟ فتح لوستنفايلر الزجاجاة. قال إن المنتجع كان مليئاً بالنزلاء طوال فصل الشتاء. لو أن الأوتوبيسات قد توقفت، لكان الصيد ثميناً، قال هايمتلىر. بالتأكيد، أكد ستوكى. قال الجاويش أنه لا يود أن يتدخل فى موضوع المنتجع، فهذه مهمة العدالة، حتى العدالة نفسها لم تتدخل فى موضوع المنتجع، الآن طلع نور الصباح، وعليهم أن يقتلوا الكلب، فالقرية تقع على الناحية الأخرى من الوادى. يمكنهم الآن الرؤية بشكل أفضل، وعندما وصلوا للقرية، كانت الرؤية واضحة. صمت مخيف يخيم على القرية. لحسن الحظ ما زالوا نائمين، قال ستوكى. جميع أهل القرية فى صف العمدة، يجب أن نأخذ ذلك فى الاعتبار، قال لوستنفايلر. الشناابس اللعين، قال الجاويش، دائماً يرتعش عندما يفرط فى الشراب، عليه أن يجرع كأساً أخرى فى هذه البرودة القارصة حتى تتوقف تلك الرعشة. الآن فرغت الزجاجاة عن آخرها، أكد لوستنفايلر. وقفوا أمام منزل العمدة. كان كوخ الكلب خاوياً. عند عتبة باب المنزل، يرى شعاع من الضوء. أدار الجاويش أكرة الباب بحذر. لم يكن الباب مغلقاً. وسلاحه فى وضع الاستعداد، ضرب الباب بقدمه اليسرى فانفتح. كانت إلزى تقف فى المطبخ أمام البوتاجاز مرتدية قميص النوم. تفضلوا، ادخلوا، قالت إلزى. بحذر، دخل رجال الشرطة الواحد تلو الآخر. بكعب البندقية، خبط الجاويش الباب نصف المفتوح المؤدى إلى غرفة الجلوس، تراجع للخلف، وأمر إلزى بأن تشعل الضوء. لم يكن الكلب فى غرفة الجلوس. تقدمى، أمر الجاويش، أضاءت إلزى الأضواء جميعها، حتى ضوء

الزريبة. كان رجال الشرطة الأربعة الآخرين ينتظرون فى المطبخ. عاد الجاويش مع إلزى إلى المطبخ. أكلب ليس موجودًا بالمنزل، أين يكون إذن. إنه مع أبى فى الخارج، أجابت إلزى. ومتى سيعود جناب العمدة ومعه الكلب؟ عندما تتصرفون، أجابت إلزى. يمكننا الانتظار، أكد الجاويش. كان هناك دكة بجوار باب المنزل، خلفها صف من النوافذ مغلقة الشيش. جلس الجاويش على الدكة، كذلك رجال الشرطة الأربعة، ممسكين بأسلحتهم فى وضع الاستعداد. برد شديد بالخارج، قال هايمتلىر. ربما يمكن لإلزى أن تصنع لنا بعض القهوة، قال لوستفایلر. يكون ذلك لطيفًا منها، قال اجلر. لطيفًا جدًا، أكد ستوكى. قهوة سريعة؟ سألت إلزى. قهوة سريعة، وافق الجاويش هازًا رأسه. جلسوا يراقبون إلزى وهى تصنع القهوة. سكر كثير؟ سألتهم إلزى، كثير، رد الجاويش وكثير من شنابس الكرز. كان عليهم أن ينتظروا. ارتشفوا القهوة، من فناجين كبيرة. فنان آخر؟ سألت إلزى. فنان آخر، قال هايمتلىر. ابتدأت فى تجهيز القهوة مرة ثانية. أنت فتاة لعوب، قال الجاويش. أنا لست فتاة لعوب، ردت بهدوء. إنه ليس سىء النية، قال الجاويش، أخبرينى بصراحة، مع كم من نزلأ المنتج قد مارست اللعبة إياها؟ لم يكن هناك أحد، سوى فانتسنريد، قالت إلزى وهى تصب القهوة. بعض الشنابس، أكثر، قال ستوكى. صبت إلزى لكل منهم كأس شنابس. الآن أخبرينى كم كان عددهم؟ سأل الجاويش بإصرار. لم يكن الحارس هو الذى فعل ذلك، قال لوستفایلر، لقد شربت معه أكثر من مرة نبيذاً جيداً moulin-a-vin، وكثيراً ما تزهنا سوياً. لكنه لم يقل ذلك لأبيها، قالت إلزى. إذا كان

الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب، رد لوستغايلىر. لو أنه قال ذلك فى حينه، لما كان من الضرورى أن تقتلوا مانى، قالت إلزى. وما كنا نحن هنا، أضاف الجاويش. كان أفضل كثيرًا، لو أنهم لم يكونوا هنا، وأن تتركوا مانى فى حاله، قالت إلزى. الكلب كلب والفتاة للعب فتاة لعب. لن يترك أحدهما فى حاله، علق الجاويش وهو يرتشف آخر نقطة من قهوته. الآخرون أيضًا، ارتشفوا قهوتهم حتى آخرها. وضع اجلر فنجانه على حافة النافذة وقال، رائع، وأسند بندقيته على الحائط، وأضاف: لو كأس شنابس آخر، تكون آخر حلوة. لقد فرغت الزجاجاة، لكن هناك زجاجة أخرى لم تفتح، فى غرفة نوم والدها فى الطابق العلوى، قالت إلزى. وماذا هناك بجوار غرفة نوم جناب العمدة، سأل الجاويش. غرفتى، أجابت إلزى. جميل، نصعد كلنا معها، قال ستوكى. وماذا يريدون أن يفعلوا كلهم فى الطابق العلوى، سألت إلزى مندهشة. نشرب الشنابس ونشربك أنت أيضًا، قال هايمتلىر. هكذا عيني عينك، قالت إلزى بهدوء، سنعجبك جدًا، أفضل من نزل المتنجع بكثير، قال اجلر. أنتم جبناء ردت إلزى، خمسة رجال ضد كلب. نهض الجاويش واقفًا. هم لا يخافون الكلب، والكلب يجب أن يقتل وسيقتل. على يد الشرطة. والآن إلى الطابق العلوى معها. انها ليست داعرة، قالت إلزى. لم يقل أحدًا ذلك، لكنك فتاة شهية ولعوب. فكرت إلزى، نظرت إلى الجاويش بتحد. نظرت شعرها للوراء وقالت، ستصعد إلى الطابق العلوى مع أقوى واحد فيهم. هو الأقوى، أكد الجاويش. ليس عندك دليل، قالت إلزى، أنت الأقوى فى الشرب. وما هو الدليل الذى يقتعك، سألها الجاويش.

الضغط، قالت إلزى بجفاف، الذى يحرز أكثر عدد مرات ضغط، هو الأقوى. الضغط، صاح هايمتلىر، أنا عضو فى اتحاد الشرطة للضغط، مؤكد هو الأقوى. وضع سلاحه على الحائط بجوار سلاح اجلر، فتح زرائر المعطف، خلعه ووضع على الدكة، ثم وضع المسدس على حافة النافذة، حتى لا يعوقه، وانبطح على الأرض وابتدأ فى العد بصوت عال، واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة وهو يمارس تمرين الضغط. مؤكد هايمتلىر سكران، قال الجاويش بصوت عال، ثم وضع بندقيته بجوار البندقيتين الآخرين، خلع معطفه، وضع مسدسه على حافة النافذة، وابتدأ فى ممارسة الضغط، واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة، بينما هايمتلىر كان قد وصل إلى التاسع عشر، وعندما وصل إلى ثلاثين، كان اجلر وستوكى فى حلبة الضغط. أما لوستفايلر، فقد غلبه النوم وهو جالس على الدكة. البرودة والشنابس فى البداية، ثم الدفء والقهوة باللبن. فتح عينيه. اندهش عندما رأى الجاويش بلازر وزملاته رجال الشرطة اجلر وستوكى وهايمتلىر منبطحين على أرضية المطبخ يمارسون الضغط، دون أن يفهم لماذا يفعلون ذلك، نهض وتمطع، خلع معطفه ووضع مع المعاطف الأخرى، وضع المسدس بجوار المسدسات الأخرى، وانبطح مرة واحدة على أرضية المطبخ يمارس الضغط هو الآخر، فانزلق على بطنه واستغرق فى النوم. لم يعد قادراً على أكثر من ذلك، قال الجاويش ونهض واقفاً. أنا أيضاً، قال ستوكى ونهض بصعوبة. عندما يحتسى المرء هذه الكمية الكبيرة من القهوة، كان يتصيب عرقاً. استسلم اجلر هو الآخر. الشنابس هو السبب، اللحم والبيض المقلّى.

كانوا يشاهدون هايمتلر بغيرة وحقد، وهو ما زال مستمراً يمارس الضغط، بإيقاع بطيء، ويعد بصوت منهك، ثلاثة وسبعين، أربعة وسبعين، خمسة وسبعين. كفاية، كفاية يا هايمتلر، صرخ الجاويش، أنت كسبت. خلاص. ستة وسبعين، قالها هايمتلر وهو يلهث، ثم حاول أن ينهض. انحنى بصعوبة، ثم ترنح في اتجاه السلالم، وجلس على الدرجة الثانية من السلالم منهكاً خائر القوى، ثم قال أنه يجب أن يسترد أنفاسه. مستحيل أن يقدر على فعل شيء مع إلزى وهو في هذه الحالة. على الجاويش بلالزر أن يقوم بهذه المهمة الصعبة بدلاً منه. كان لوستنفايلر ما زال راقداً على الأرض يشخر بصوت عال. على إلزى أن تصعد معه إلى فوق، قال الجاويش، امرأة لعوب شهية كنتك، لم يجربها من قبل طول حياته. لكنك لست الأقوى، قالت إلزى، والأقوى يجب أن يسترد أنفاسه، وهي لم تجرب قط رجلاً غيبياً مثله. الجاويش بلالزر كان يرغب في أن يرد عليها، لكنه ظل فاتحاً فمه من الدهشة، واقفاً متسماً في مكانه: أمام الخمس بنادق المسندة على الحائط، والخمسة مسدسات على حافة النافذة، والخمسة معاطف، يجلس الكلب مانى بحجم العجل، مكشراً عن أنيابه. على أرضية المطبخ، ما زال لوستنفايلر مستمراً في شخيره. عليها أن تبعد الكلب، أمرها الجاويش. زام الكلب. أرجوك، أبعدى الكلب، قال الجاويش بلهجة شديدة التهذيب. تريد أن تقتل مانى، قالت إلزى، ها هو أمامك. اقتله. إنه يجلس أمام أسلحتهم، قال الجاويش، ويستحيل الوصول للمسدسات. أنت لا تخاف منه بالطبع، يمكنك بسهولة أن تأخذ الأسلحة، قالت إلزى. تقدم الجاويش خطوة إلى الأمام، نبج مانى نبحة

قصيرة خشنة، توقف الجاويش. لو أنها أبعدت مانى، لأمكنهم أن يأخذوا أسلحتهم ومعافهم ويتركوا مانى فى سلام. أعرف ذلك، قالت إلزى، ثم يأتى غداً عدد أكثر من رجال الشرطة ويقتلون مانى. القانون قانون. فعندما يجب على مانى أن يموت، فليمت بعزة وكرامة. سوف تطلقه الآن عليه، ليعض حضرة الجاويش، فى الخلف أو الأمام، كما يحب مانى، عندئذ يطلق الآخرون عليه الرصاص. سألها الجاويش، إن كانت قد جنت. عندئذ تكون أشبهه بمجزرة زيمباخ، قالت إلزى. إنهم ليسوا بأبطال الأساطير، بل رجال شرطة، قال هايمتزر، الذى ما زال يجلس على السلام، محاولاً أن ينهض فيتوجع متألماً وقد تشنجت عضلاته. هذا ليس لطيفاً منك، غمغم الجاويش. أنت أيضاً لم تكن لطيفاً معى ولا مع مانى، أجابت إلزى، عليهم أن يخرجوا الآن من الباب الخلفى. ما زال لوستنفيلر راقداً يشخر على أرضية المطبخ. سنعود ثانية، قال الجاويش، وخرج من أجلى وستوكى وهايمتزر من الباب الخلفى.

لم تأت الشرطة هذه المرة، بل جاء الجيش. كان ممثل الحكومة لا يقل عناداً عن العمدة، لم يكن رئيساً لأجهزة القضاء وأجهزة الشرطة فحسب، بل كان القائد العسكرى الأعلى للبلدية فى المقاطعة كلها. ولما كانت هذه المنطقة تقع فى مجال اختصاصه وسلطته، فلا بد لهذه المشاغبات أن تتوقف، لذلك اقترح على رئيس المنطقة الأعلى ورئيس أركان الحرب توسيع سلطاته حتى وادى الفوضى، فالناس هناك يشعرون بأنهم مهملون من الحكومة. وعلى اعتراض رئيس المنطقة، أنه يستحيل اختراق هذه الأشجار المديبة، وأن الروس

قد اخترقوا القوقاز بواسطة متسلقين محترفين، أجاب بأنه يجب أن نحاول اختراق وادي الفوضى وتمشيطة مهما كانت الصعوبات، بصرف النظر عن حال الوادي، كما أنه يجب تدريب الجنود تدريباً كافياً.

"بفيلق كامل؟" سأله رئيس أركان الحرب بجبين مقتضب. كانوا في الغرفة الخلفية من الحانة يسرفون في الشراب. "ومن سوف يكون الجواسيس الروس؟ يجب وضع علامة تميزهم بشكل ما "

"كلب رئيس البلدية" قال ممثل الحكومة "يجب أن يقتل، بناء على قرار قاضى المقاطعة".

هز رئيس المنطقة الأعلى رأسه بعدم الموافقة " الكلب موضوع الشرطة "

"ليس عندما يكون جاسوساً روسياً" قال ممثل الحكومة

فكر أركان الحرب: "هل يعرف الكلب ذلك؟"

"يجب أن نسأله أولاً" فكر رئيس المنطقة الأعلى "لو أنه على الكلب أن يلعب دور الجاسوس، فلا بد أن يوافق مبدئياً على ذلك، أما أن نقتله هكذا ببساطة، ثم نؤكد بعدها أنه جاسوس روسي، هذا غير عادل"

"لا أدري، هل من حق الجيش مبدئياً، أن يقتل كلباً من كلاب الوطن" أشك في ذلك، علق أركان الحرب

"إنه جاسوس" أكد ممثل الحكومة وهو يعدل زيه العسكري

قال رئيس المنطقة الأعلى بتردد: "يمكننا أن نوافق على ذلك، لو أن الكلب يقوم فقط بدور الجاسوس. لكن أن نقتله؟ فى مناورة حربية؟ لا بأس أن نظاهر بذلك، لكن أن يحدث ذلك حقيقة، فهذا غير معقول.

ومن أجل خاطر ألا يغضب ممثل الحكومة، وافق رئيس المقاطعة الأعلى فى النهاية على بدء العملية وقتل الكلب. هنا ادعى ممثل الحكومة بأن الجنود يقومون بتدريبات ليلية، واندفع بالفيلق إلى الوادى. فى الصباح الباكر، كانت القرية محاصرة بالدبابات وقد أغلقت كل مداخلها، تحت ستار أنها مناورات للتدريب على البحث عن الجواسيس الروس، وقام أحدهم بارتداء ملابس تشبه الكلب مانى، بعد أن قاموا بتفتيش منزل العمدة، كذلك زريبتيه، قام الجنود المسلحون بتفتيش المنازل الأخرى، انتزعوا الناس من أسرتهم، والماشية من الزرائب، وفتشوا بهمة كل الزوايا تفتيشاً دقيقاً، قلبوا كل شىء رأساً على عقب. انتزعت الكتيبة أحشاء القرية، ومشطت كتيبة أخرى الغابة خلف المنتجع، بينما حوطت الكتيبة الثالثة المكان كسلسلة محكمة، ثلاث طلقات من مدفع دبابة أنهت عملية البحث. اكتشف أحد الضباط بمنظاره من برج الدبابة شيئاً ما يتحرك على أحد صخور الهضبة

"تعال هنا" صعد جندى إلى الضابط، فناوله المنظار
"هناك"

مشط الجندى المشهد كله بالمنظار، ثم قال "كلب"

"الجاسوس" قال الضابط

"لا أدري، إنه لا يتحرك" قال الجندي

"إنه يتظاهر فقط. إنه يلعب دوره بشكل ممتاز" رد الضابط
موضحاً

"إن كان هذا رأيك" رد الجندي

"ثلاث طلقات. اضرب!" أصدر الضابط الأمر

أطلق الجندي ثلاث طلقات في الاتجاه المحدد، وبعد أن هدا
دخان الطلقات، اتضح أن ماني والصخرة التي كان يجلس عليها قد
نسفا.

"أرأيت. لقد أجهزنا عليه. انتهت المهمة" قال الضابط وهو
يضحك

كان ممثل الحكومة يستقر في زيه العسكري وهو في الحانة
كأحد نبلاء القرون الوسطى.

"ممتاز" قال ممثل الحكومة، عندما أخبره الضابط بانتهاء المهمة،
وأمر بإحضار زجاجة شمبانيا "هذا هو دور الجيش. هناك الكثير من
العجول يجب التخلص منها"

انتهت المناورة عند هذا الحد، وكان على قسم العلاقات الخارجية
أن يعتذر للمقاطعة المجاورة، عما سببته الثلاث طلقات، التي انطلقت
من مدفع الدبابة السويسرية من تدمير لقمة الهضبة، التي تطل من
ناحية على المقاطعة المجاورة وكانت تهدد حياة اثنين، كانا في تلك
اللحظة يتسلقا الجبل من الناحية الأخرى.

أحس أهل القرية بالإهانة مرتين، مرة من حصار الجيش لهم، ومرة من مسئولى المقاطعة الذين لم يهتموا بهم على الإطلاق وهم فى هذا المأزق، فلقد عاملوهم كالنفايات التى تقوح منها الروائح الكريهة، فى هذا الركن المنسى المهمل من العالم.

الآن أصبحت الأشياء لا تعنى العمدة. فلا توجد عدالة أصلاً فى وادى الفوضى، وعلى أهل القرية أن يعرفوا ذلك. وبشكل عام، أصبح العمدة، منذ غزو الجيش للقرية، أكثر لطفاً فى تعامله مع أهلها، كان يختفى كل يوم فى الغابة المجاورة، ويعود وفى عينيه نظرة خبيثة مأكرة. كانت أرملة هونجربولر، هى الوحيدة التى سبب لها قتل مانى بمدفع الدبابة إزعاجاً شديداً. ذهبت الأرملة إلى قاضى المنطقة بالقرية المجاورة، كان كاتب القاضى ينظف أنفه. قال لها أن الكلب كلب، حتى لو سقط قتيلاً من أجل الوطن، فهذا أفضل بالنسبة له، عندئذ تكتسب حياة الكلب على الأقل معنى ما، أما فيما يخص فون كوكسن، فقد سحب دعواه بالتعويض، عليها أن تخبر العمدة بذلك، فهذا غريب بالنسبة لرجل من لشتشتاين مثل فون كوكسن، والآن يمكن للعمدة أن يفرح ويهلل، لا يمكنه أن يطلب أكثر من ذلك، وإلا كان طمعاً ومكابرة.

وسط الشعور بالغضب المسيطر على أهل القرية، كان (بيت الفقر) يحتفل بالازدهار الاقتصادى. عاد ثانية موسم الصيف. كان المنتج مكتظاً بالنزلاء.

نامت جموع المليونيرات فى غرف صغيرة تحت سقف ملحق المنتجع، على أبراش لو وجدت فى السجون، لاعترضت عليها

منظمات حقوق الإنسان، لكونها غير إنسانية، من جميع النواظ كانت تسمع الضحكات والقهقهات بجميع أنواعها وهى تتحدر فى اتجاه القرية المسكينة. حلت بركة الأب الكبير وألقت بظلالها. فى ليلة صيفية دافئة، حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، خرج موسى ميلكر يتمشى فى حديقة المنتجع، متعباً من مهنته الشاقة كقسيس راع للنزلاء. السماء المرصعة بالنجوم بأضوائها الباهرة، أثارت فيه ذكريات نهر النيل. كان خطأ، ما فعله مع أوتيلى، كان يفضل لو أنه فعله مع سيسيلى، استبعد الفكرة بسرعة، لم يكن موسى سعيداً بالفقر. هو الذى وضع نفسه فى هذا الوضع، بل لقد لقب بموسى المسكين، وكان يستحق أن يعيش فى (بيت الثراء) فى فيلته فى جرينفيل. كان يشعر بدنه، كلما تذكر الشتاء الماضى. الضباب الكثيف - غريبة تلك التقلبات الجوية فى منطقة جرين - الروائح الكريهة التى تنبعث من مصانع نيدرآلمن الكيماوية، وزيادة على ذلك، زوجته سيسيلى وهى تدخن السيجار وتأكل الشوكولاتة وتقرأ الروايات. لقد نفذت ما قاله لها ذات يوم فى لحظة حب، من أن كل ما يملكه يخصها، ووقع بالفعل على ذلك، فأصبح كل ما يملكه يخصها. مرة ثانية تثار ذكريات نهر النيل. حقيقة، كان مستمتعاً بوجوده فى (بيت الفقر)، فلقد كان يعمل ليل نهار، يعطى الدروس الدينية، ويلقى بالعظات تمجيداً للفقر ومتعته. كان يفعل ذلك بهمة لم يعرفها الثراء فيه من قبل، وبمبالغة جعلت النزلاء يكرهون بالفعل كونهم أثرياء، ويرتعدون من الخوف من مصيرهم، مما ضاعف من استمتاعهم بكونهم فى (بيت الفقر)، مساعدة الآخر، الابتسام فى وجه الآخر، كل منا للآخر. لو أن الأكل أفضل قليلاً، فكر موسى، هذه المرة أسوأ كثيراً من الموسم

الماضى، إن أكل أفقر فقراء هذا البلد، يعتبر طعاماً فاخراً بالنسبة لما يقدم للمليونيرات فى (بيت الفقر). وصل موسى إلى نهاية حديقة المنتجع من الناحية الشرقية، كان مستغرقاً فى أفكاره، بينما يسقط الضوء على وجهه وعلى شعره الزنجرى الخشن. تتساب من أعلى طابق فى البرج الشرقى موسيقى ناعمة، تراجع موسى فى الظل ودلف داخل المنتجع. على باب المدخل الجانبى، كان يقف كريهنبول

"من هناك فى البرج الشرقى؟" سأله موسى

"لا أحد" أجابه كريهنبول.

"لكنى أرى ضوءاً هناك، وأسمع شخصاً ما يغنى" قال موسى.

"غير ممكن. فالغرفة العليا فارغة. غير مسموح تأجيرها أصلاً. لا أدرى لماذا، ليس عندى أية فكرة. كما أننى لم أدخلها على الإطلاق" قال كريهنبول .

عاد موسى إلى الحديقة مرة ثانية. لم يعد هناك ضوء فى أعلى الجناح.

كانت حديقة حيوان كينجستون بجاماىكا تنتظر ورود شعبانين نادرين من نوع Boa constrictor وعندما فتح الصندوق، كان فارغاً. بعد مرور أسبوعين، وجد الشعبانان فى فندق يبعد حوالى ساعتين بالسيارة من كينجستون. كان الفندق، مختفياً وسط أدغال كثيفة على حافة غابة ممطرة، منذ أسبوعين والمطر الخفيف يتساقط بلا توقف، مما دفع بالنزلاء لأن يغادروا الفندق ويرحلوا. كان الفندق محاطاً بسعف النخيل الحاد الذى يشبه السكاكين، حيث تموجها الرياح

يمنة ويسرة. وكانت الحوائط متهالكة وشبه متهدمة، مما جعل الرياح والأمطار تتدفع بسهولة داخل الفندق. كان كل شيء مبللاً، وكانت سباطات الموز تنتشر في كل مكان، معلقة على الحبال، موز كبير وموز صغير. كانت غرفة الطعام تقود إلى مكتبة يفصل بينهما باب سميكة. كميات كثيرة من الكتب التي يعلوها العفن، على الأرضية سجادة منقوعة في المياه، خشب الأرضية منتفخ من المياه التي تشربها، ينبثق الفطر بين الشقوق في جميع الأمكنة. يجلس صاحب الفندق في غرفة الطعام، هو وعائلته والطباخة يمصصون دجاجة. كان صاحب الفندق في حوالى الخمسين من عمره، اسكتلندى، ذو شعر أحمر، بلا رموش، وملئ بالنمش، وكانت زوجته مولاتين امرأة جميلة، أصغر منه بخمسة عشر عاماً، ابنه في حوالى العشرين، أسود اللون، شعره الأحمر فقط، هو الذى يؤكد أن الاسكتلندى هو أبوه، أما الطباخة فكانت هندية حمراء، قزم ضامر الجسم. سمعت خشخشة، خفيف صادر من ناحية الشارع. اندفع الثعبانان النادران، الذى يبلغ طول كل منهما بضعة أمتار داخل غرفة الطعام، وانزلقا على المائدة، أحدهما أبيض ناصع كالثلج، والآخر رمادى محمر، عليه بقع بيضاوية رمادية مصفرة تمتد على طول خطوط داكنة، واختفيا داخل الصالون أمام الشرفة، التى تؤدى إلى الغرف العليا للنزلاء. تسمرت الأسرة في مكانها من الفزع، بينما كانت الطباخة مشغولة في ورك الدجاجة. "Oh my God" قال صاحب الفندق، ثم هب قافزاً في اتجاه أسلحته القديمة، أخذ بندقيته وأعطى البندقية الأخرى لابنه، "Oh my God" غمغم صاحب الفندق وهو في حالة شديدة من الاضطراب، تسلل إلى الشرفة ثم فتح الأبواب عن آخرها.

سمع صوت بوق سيارة آتيا من الشارع، دخل ساعى البريد يحمل كيسا مليئا بالخطابات وقال "الخطابات" وأفرغ الكيس على أرضية غرفة الطعام. مولاتين ما زالت جالسة أمام المائدة متسمرة بلا حراك. تناولت الطباخة الدجاجة الثانية وابتدأت فى تقطيعها وأكلها. أحضر ساعى البريد ثلاثة أكياس أخرى وأفرغها. بحث الأب والابن فى الغرفة الأولى، خرجا إلى الشرفة، خلف الحافة، تسمع أصوات أزيز وحفيف وحشرات ولهات. هناك شىء يتقلب بعنف فى حمام السباحة، يقفز نائرا الماء، لكن صوت تساقط المطر كان يشوش عليه، فكان من الصعب التعرف عليه بدقة. جلس الزوجيان اللذان قد عينهما الاسكتلندى لمراقبة حمام السباحة، مستندين على الحائط وهما يغمغان بالانجليزية

"The great old man. The great old man" الأب الكبير، الأب الكبير، وهما خلف الحائط، سمع الاسكتلندى خشخشة. أمام المكتب، يجلس رجل عدو الشمس (ألبينو) مرتديا حلة سهرة بيضاء (سموكنج) يكتب على الآلة الكاتبة، ويقول، عليهم أن يحضروا البريد، لقد وصل. أمر الاسكتلندى ابنه بأن يحضر البريد. وجد الابن كومة من الخطابات ما زالت ملقاة على الأرض بجوار أمه التى ما زالت فى حالة ذهول، والخادمة التى ما زالت تأكل فى الدجاجة، والتى لم تلاحظ شيئا، فالأمر سيان بالنسبة لها، أحضر سلة وملاها بالخطابات لآخرها ووضعها بأدب أمامه. طلب منه عدو الشمس أن يلقى بالخطابات فى حمام السباحة ويذهب ليحضر باقى الخطابات. ما زال هذا الشىء يقفز فى الماء بعنف وينثره، دون أن ترعجه الخطابات

التي تطفو فوق المياه حوله. أفرغ الابن سلة الخطابات فى حمام السباحة، دون أن يلتفت. ما زال الاسكتلندى يقف هناك. هل تريد شيئاً آخر؟ سأله عدو الشمس، بعد أن أفرغ الابن السلة الأخيرة فى المياه، ثم خرج الأب والابن إلى الشرفة.

"Oh my God" همهم صاحب الفندق. ثلاثة أيام متتالية يجىء فيها ساعى البريد. ثلاثة أيام، تفرغ الخطابات من السلة فى حمام السباحة. كان يرقد فى الفراش مرتدياً البرنس وهو يستمع إلى صوت الآلة الكاتبة، التي يكتب عليها جبريل، وإلى صوت تساقط المطر، وهففات سعف النخيل. لم يلق نظرة واحدة إلى الخارج.

ما الذى يخطب هناك، لا يدري، ما الذى يحدث هذا الصوت، لا يعنيه، ماذا يكتب جبريل، لا يهمه. لقد أملى عليه ردود الخطابات. فى حقيقة الأمر، لم تكن خطابات، بل ألواحاً من الحجر، قام جبريل بحفر الرد عليها. فقد أحضر ألواحاً من الطين، حفر عليها الرد، عملية سهلة بالنسبة لجبريل، فقد كان جبريل يكتب الهيروغليفية على ورق البردى، كما يمكنه أن يكتب العبرية بسهولة، كانت تأتي باستمرار خطابات جديدة. ولأنها كانت جميعها خطابات طلبات ورجاءات وتوسلات، كان يرد فى أول الأمر على القليل منها، تبعاً لمزاجه، وكانت الإجابة بالسلب عادة، غالباً لأسباب مختلفة غير حقيقية، لكنها تعطى انطباعاً وهمياً مقنعاً للطرف الآخر بأنه وافق على المساعدة، وعندما تعب من الإملاء، أعطى جبريل التفويض، بأن يرد هو شخصياً على الخطابات، ولما كان على جبريل أن يقرأ الخطابات كلها، حتى يمكنه الرد عليها، نصحه بألا يقرأ الخطابات، وبعد فترة،

كان قد نسى أنه كلف جبريل بأن يرد على خطابات لم يقرأها، كما نسى جبريل نفسه المهمة التي كلف بها، فقد كان يخط بإصبع واحد على حروف الآلة الكاتبة بشكل عشوائي، حروفاً لا معنى لها. أول الأمر، كان يغير الورقة ويضعها فى المظروف، ويكتب عليه العنوان، أى عنوان يخطر على باله، بعد فترة لم يعد يغير الورقة، بل كانت دائماً نفس الورقة، ثم ابتدأ يكتب دون ورقة، وفى النهاية بدون شريط للآلة الكاتبة، وأخيراً كان يخط فقط ويتكئ على الآلة الكاتبة، وكان الأب الكبير يكتفى بالتكتكة. كانت الخطابات تصل إليه دائماً وبشكل مستمر، بل وتتزايد، ثم بدأت فى التناقص، لأنهم لم يعرفوا له مكاناً مستقرّاً، حتى أن بعض الخطابات، كانت تصله بعد سنوات. صدفةً بحتة، أن يصله خطاب من الأرملة هونجربولر، لم يقرأه، ولو أنه قرأه لما فهم فحواه، لقد نسى كل شيء منذ فترة طويلة، المنتجع الذى اشتراه موسى ميلكر بعلومه الدينية الطريفة، لم يكن يعرف حتى أين هو، فى أى نظام شمسي، فى أى كوكب، فى أية مجرة، فجأة رآوده الرغبة فى تدخين سيجار، وفى الحال كان السيجار الهافانا بين شفتيه، إن كان هافانا فعلاً، وأن كينجستون تلك موجودة فوق الأرض، وليست فى كوكب آخر غير مادي أو من أى شيء آخر. وقف جبريل وتناول من السلة التى أحضرها ابن صاحب الفندق خطاباً قبل أن يفرغها فى حمام السباحة، مجرد خطاب من الخطابات اليومية، كان هو الخطاب الذى أرسلته الأرملة هونجربولر، مجرد صدفة، صدفة بحتة. أمسك جبريل بالخطاب فى اتجاه الشمس، فاشتعل الخطاب مرة واحدة، رغم أنه كان مبللاً. أشعل به سيجار سيده، الذى أخذ منه نفساً عميقاً، ثم ألقاه على حصيرة من القش،

فسبب خرمًا فى الحصيرة نتيجة الحريق، والذى من أجله أبلغت الشرطة لإثبات الحالة، فقد هرب النزلاء دون أن يدفعوا الحساب، ما زال الخرم يتوهج وتزداد شعلته رغم الليل، إلا أن رجال الشرطة وصاحب الفندق وابنه ومولاتين والهندية الحمراء هرولوا جميعًا إلى الشارع مذعورين. قبل أن يشتعل الفندق بأكمله.

كانت فرصة مناسبة لأن تنهب فيلات المليونيرات المتواجدين فى (بيت الفقر) للاستجمام من أعباء الثراء وأثقاله، فرصة طيبة بالنسبة لمجلس الإدارة فى هذا الصيف، بالرغم من أنهم لم ينضموا لمجلس الإدارة الجديد. كان من الممكن توزيع العمل مع المجلس الجديد بشكل أفضل وأكثر فائدة، لو أن الأمور كانت شفافة. لكنه لا أحد يعرف من الذى قام بتشكيل مجلس الإدارة الجديد. القادة القدامى لم يقولوا شيئًا، ربما هم أنفسهم لا يعرفون. تنتشر الشائعات، بأن الأب الكبير، ربما يكون قد باع مجلسه القديم لمؤسس المجلس الجديد المجهول، بشرط أن يصفى المجلس تمامًا، فهو ينوى أن ينسحب نهائيًا من أعمال البيزنيس ويعيش فى هدوء، أو ربما قام الأب الكبير بشراء المجلس الجديد من المؤسس المجهول، بشرط أن يسمح له بتصفيته، حتى يسيطر على المشهد بأكمله، بينما يؤكد المطلعون، أن المؤسس المجهول للمجلس الجديد ليس سوى يرميا بليال. ولأنه فى حقيقة الأمر لا أحد يعرف بالضبط، طبيعة علاقة يرميا بليال بالأب الكبير، هل هما نفس الشخص؟ مرؤوسه؟ منافسه؟ أو حتى رئيسه؟ ليس هناك سوى تكهنات تزيد الموقف غموضًا، وتفقد ثقة الأعضاء بعضهم ببعض، مما أدى إلى اندلاع حرب شرسة بين جميع

الأطراف، لا أحد يعرف من اشترى من، ومن قتل من. يتزايد بسرعة مذهلة عدد الضحايا في مانهاتن وفي شيكاغو وفي سان فرانسيسكو وفي لوس أنجلوس، كذلك في ميكسيكو سيتي وريو وسانت باولو وهونج كونج.... إلخ في محلات الحلاقة، يقف الحلاقون مندهشين في أيديهم فرشاة الحلاقة والموسى فيفاجئون برجال مقتولة غارقة في دماءها على المقاعد. فى بيوت الدعارة الفاخرة، يفاجيء الخدم وفتيات الغرف وهم يحضرون الإفطار، الشاي أو القهوة، الكرواسون الساخن أو التوست، البيض المقلى باللحم المقدد، أو البيض المسلوق مع عصائر الفواكه الطازجة، بجث رجال أو نساء أو أزواج، وقد ذبحوا بأناقة المحترف، أو بعض النزلاء الآخرين وقد ربطوا على المقاعد وكممت أفواههم بالشريط اللاصق، أوجثة متفحمة لرجل نحيف فى مدخنة غرفة بهدسون وفى فمه سيجارة ماريجوانا.

أغلق ميكائيل عيادته فى آسكونا، وقام بتجهيز عيادة صغيرة فى المنتجع لفترة الشتاء مستخدماً المطبخ كغرفة للعمليات. كانوا يطلقون عليه لقب Doc. تسيطر الكآبة على المنتجع بشكل عام، فلا أحد يثق فى الآخر. فى نهاية شهر أكتوبر، تقابل جو ماريجوانا مع جيمى الفحل. كان جنابهما الفاخر مشغولاً، فلقد كان جميع أعضاء مجلس الإدارة موجودين. لم يقابلا بترحاب، بل بشعور عدائى، فقد كان الجميع يخاف منهما. اضطر الاثنان أن يسكنا فى غرفة مزدوجة. فى سجن سنج سنج، كان كل فرد فى زنزانة قائمة بذاتها، قال جيمى الفحل. قضى الاثنان سوياً ليلة واحدة فقط، وفى اليوم التالى كان جو ماريجوانا ينام وحده فى غرفة الغسيل، بناء على رغبته. استمر هناك

لبضعة أسابيع، فقد كان يحتاج لأكثر من عملية جراحية في وجهه، حتى يعاد تشكيله من جديد. فوجهه الأصلي يمثل مجازفة خطيرة بالنسبة لمجلس الإدارة، كما ذكر له الطبيب. اطمئن الآخرون لذلك، فلقد أصبحوا فى أمان من ناحيته. كانت الجثة المتفحمة فى الغرفة بهدسون ضمن حصته، فلقد كانت جثة أحد أعضاء مجلس إدارة الأب الكبير. لمصلحة من تم ذلك؟ ومن الذى أمر جو ماريجوانا بأن يقتله؟ تنتشر الشائعات بينهم هنا وهناك. يجلس الرجال خلف النوافذ المغلقة، وهم فى حالة ضجر شديد، يلعبون البوكر، يدخنون، يشاهدون أفلام جنسية. لقد تعلم فون كوكسن الدرس من حادثة فاننسنريد واستبعد الكلاسيكيات. واستقر فى البرج الغربى وسط لوحاته الأصلية والمزيفة. بعد فترة قصيرة، جاء أوسكار ثم تبعه ادجار. كانت أوامر رافائيل ورافائيل رافائيل. يجب أن يأخذ الحذر، فمجلس الإدارة لم يعد يثق فى فاننسنريد. كان من المستحيل التغلب على الملل حتى بعد استبعاد الكلاسيكيات. وغرق الجميع فى بحر من الكسل والتثاؤب. كما أن علامات الشتاء لم تظهر بعد. فبدلاً من الجليد، كانت هناك عواصف ترابية، سخونة غير محتملة، جفاف لا حد له. لقد قاربت الغابة على التيبس. وظل الرجال فى أماكنهم يسيطر عليهم ملل قاتل. خلف المنتجع، ينشد ناظر المدرسة فرونتن نفس الأشعار بصوت مسموع: "رحلة غابة الهارتس فى الشتاء"، "بروميثيوس"، "حدود الإنسانية"، "الحنان" وبشكل مستمر "الكلمات الأولى": "تبدو أحراراً، بعد مرور عدة سنوات، نكون أكثر اقتراباً عما كنا من قبل" بزغ القمر، بدرًا مكتملاً، ينساب هادئاً فى السماء، يشع على القرية ويضيئها. خرج جيمى الفحل من المنتجع يتمشى فى الغابة، مر على

ناظر المدرسة وهو ينشد، فى اتجاه الوادى: "أن تعجز عن الوصول
للنهاية، يجعلك عظيماً، وأن لا تبدأ قط، هذا حظك، مثل النجوم
الدوارة تدور أغنيّتك، البداية والنهاية دائماً نفس الشئ، والذى يجرى
به المتوسط، هو الذى يبقى فى النهاية وهو الذى كان فى البداية"
نظرت إلزى فى اتجاه المنتجع. تركت النافذة مفتوحة، لفحها الهواء
الساخن المندفِع من النافذة، رأت القمر وهو يسبح بعيداً، مستديراً
وقوياً، فجأة غطى رأس جيمى الفحل ضوء القمر. ودت إلزى أن
تصرخ. لكن القمر يدور حول الأرض، والأرض تدور حول الشمس،
وعلى الأرض كان القمر، وعلى القمر أرض جديدة. يحدث ذلك
بالضرورة. الشمس تتعكس على القمر، والقمر ينعكس على الأرض،
وجيم الفحل يدخل الغرفة، وإلزى لا تصرخ.

هل كان ضرورياً أن يسأل ممثل المقاطعة أحد نواب مجلس
الشيوخ القدامى، أثناء جنازة أحد نواب المجلس الشباب، عن موعد
اجتماع اللجنة الشرفية، بالنسبة لنائب مجلس الشيوخ هذا لا يعنيه
أصلاً، لأنه قد نسيه ولأنه لا يعرفه، لذلك لم يرد عليه. انكب بعد
الجنازة على كومة الأوراق التى كانت فى انتظاره، فوجد فى أحد
الأدراج تشكيل أعضاء مجلس إدارة الجمعية السويسرية للأخلاق،
واندهش عندما اكتشف، أنه هو شخصياً رئيس ذلك المجلس، لقد كان
آخر المناصب الشرفية التى باشرها. دعا المجلس للاجتماع وهو فى
غاية القلق. كان مجلساً قليل الحيلة، فى تعامله مع نصوص اللائحة
المكتوبة باللغة الانجليزية، والتى كان يحتفظ بها عن طريق الصدفة،
والتى اكتشف فيها أن أعضاء المجلس الحاضرين ليسوا بأعضاء

اللجنة الشرفية، لكنهم أعضاء مجلس الجمعية السويسرية للأخلاق، كأحد فروع جمعية بوسطن للأخلاق. وهكذا أصبح أعضاء اللجنة الشرفية، الذين يشكلون المجلس بالفعل، أعضاء في أكثر من مجلس، لدرجة أنه ما من عضو واحد يتذكر اسم جمعية بوسطن للأخلاق، أو يذكر أنه قد سمع بها من قبل، وربما كان من الأفضل أن يقدم جميع أعضاء المجلس استقالاتهم، لكنه قبل أن يقدموا استقالاتهم، لابد وأن تعرف طبيعة العلاقة بين جمعية بوسطن للأخلاق والجمعية السويسرية للأخلاق، ومن الذي عمل على تأسيسها. طلب المجلس من نائب مجلس الشيوخ أن يقوم باتخاذ الخطوات اللازمة، والذي طلب بدوره من مجلس المقاطعة بإرسال نسخة من اللائحة، وانفض الاجتماع. كان النائب العجوز من أصول اجتماعية متواضعة، فلقد قضى فترة طويلة من حياته كمدرس في المدارس الثانوية في مدينة برن، وكان انشغاله بالعمل السياسي حقيقة ضد رغبته، لذلك كان يمارسه بشكل روتيني، مثل حصوة في تيار جارف، كما كان يقول دائماً، حتى وصل به الأمر إلى مقعد بمجلس الشيوخ. ظل في أعماقه دائماً مدرس المدارس الثانوية، وليس نائب مجلس الشيوخ. وكنايب بمجلس الشيوخ كان يعاني من غموض وعدم شفافية الشؤون الاقتصادية ودهاليزها. كان هو بالنسبة لها، كمحولي قطارات، يقف في ظلام دامس، وعليه أن يحول آلاف مؤلفة من القطارات، الأكسبريس والتسريعة والمحلية والقشاش وقطارات البضائع، مما يؤدي بالضرورة في النهاية إلى كارثة تتدمر فيها كل القطارات. فما يحدث له في هذا العمر المتقدم بسبب جمعية الأخلاق الشاذة تلك،

والتي لا يعرف أصلها من فصلها، في بوسطن أو في سويسرا، يشكل مصدر إزعاج شديد بالنسبة له. طلب من أحد معارفه المحامين، الذي كان يعمل معه من قبل، أن يساعده. وبعد أن قرأ المحامي نصوص اللائحة، كان رأيه غير مشجع، بل يدعو للشك والريبة. فلقد صيغت نصوص اللائحة صياغة مأكرة وبدهاء شديد، فهي تخول لمجلس الإدارة أن يعلن أنه لجنة شرفية قامت بتأسيس الجمعية السويسرية للأخلاق وأنهم هم أنفسهم أعضاء مجلس إدارة الجمعية في نفس الوقت. مثل هذه اللائحة، يجب ألا يمررها أحد. لقد مرت عليه، قال النائب بغضب. زيادة على ذلك، فقد قام المجلس بعدها بأسبوع بشراء منتج، أضاف المحامي، وذلك بطرق قانونية بواسطة محام، الزميل هابيجر من عاصمة المقاطعة. فيم تحتاج جمعية للأخلاق منتجاً؟ ولماذا؟ تساءل النائب متعجباً. رد عليه المحامي، بأن جمعية "الفرح والسعادة من خلال الفقر" تحتاجه للعطلة في شهور الصيف. ضحك النائب قائلاً، إنه اسم ذكي لمنتج للطبقة المتوسطة. للمليونيرات والمليارديرات، رد المحامي مصححاً، وفي الشتاء يؤجره كونت يدعى فون كوكسن من ليشتنشتاين، الذي جمع ملايينه من بيع اللوحات المزيفة. مؤكداً هو في السجن الآن، علق النائب. فرد المحامي، بأنه يقول للزبائن أن اللوحات مزيفة، لكن الزبائن تؤكد أنها أصلية. مؤكداً سيفلس هذا "الفرح والسعادة من خلال الفقر" قال النائب، فمن هو المليونير الذي يذهب إلى المنتج كي يعيش عيشة الفقراء، ويستمتع بذلك. أثنى أثرياء البلد، قال المحامي، والمنتج يزدهر بجنون، وتتزايد أرباحه كما لم يحدث من قبل، فمن الواضح

أن اندماج الجمعيتين قد عمل على مضاعفة الأرباح. هو لا يعلم شيئاً عن هذا الموضوع، قال النائب. بعد هذا الحوار لم يتمكن نائب مجلس الشيوخ من النوم طوال الليل. كان يبلغ الخامسة والتسعين من عمره، وصار أرملاً منذ عشرين سنة. لم يود أن يذهب لبیت المسنين. كانت تهتم به امرأة إيطالية في السبعين من عمرها، وتؤنّب به بشكل مستمر وبلا توقف تبعاً للموقف، بأنه يأكل كثيراً أو يأكل قليلاً، أو يأكل بدون انتظام، ولو أنه استمر يعيش بهذه الطريقة، فلن يعمر طويلاً... إلخ خلع جهاز السمع ووضع جانبا بينما كانت ما زالت تؤنّب به، ظل ينظر إليها إلى أن انتهت من تأنيبه. للمرة الأولى يصيح في وجهها هذا الصباح قائلاً أن عليها أن تخرس، وابتدأت تحضر له طعام الافطار والدموع في عينيها. تركها واندفع إلى المكتب يكتب لرئيس المقاطعة. كان الرد لطيفاً، على المقاطعة أن تسعد بذلك وتقدره، ليس فقط من الناحية الأخلاقية، بل أيضاً من الناحية المالية، وسوف تقدم المقاطعة للجمعية السويسرية للأخلاق مكاناً تستقر فيه، ففي حساب الاتحاد يوجد مليون ونصف مليون، كل شيء على ما يرام، حتى تلك العاصفة مع العمدة في وادي الفوضى قد سويت وهدأت. لم يكن لطيفاً من رئيس المقاطعة أن يكتب ذلك. خامر الشك نائب مجلس الشيوخ بخصوص تلك الجمعية السويسرية للأخلاق. لن يسمح لها بأن تسخر منه مرة أخرى. هناك خطأ ما في الموضوع برمته. ولماذا كانت تلك الضجة إذن مع العمدة؟ طلب النائب من العمدة أن يحضر إليه، وسوف يتكفل بكافة تكاليف الرحلة.

نائب مجلس الشيوخ، رجل رقيق صغير الحجم، له بشرة وردية كبشرة الفتيات، كان يجلس فى مقعده منسنداً للوراء، بينما يأخذ حمام قدمه الساخن فى المساء، ماء بالخل، فى أحد الزوايا بين رفوف الكتب يجلس قط أسود ضخمة، وأمام النائب يجلس العمدة. هل من الممكن أن يدخل، سأل العمدة، هل له فى سيجار هافانا، سأل النائب، إنه يدخل الغليون، قال العمدة، ثم أخرج غليونه وأشعله. عندئذ طلب منه النائب، أن يقص عليه قصته. وبدأ العمدة يحكى، وعندما انتهى من حكايته قال له النائب، أنه يصدق فى كل ما قال. هكذا تكون أنت أول فرد يصدق حكايتى يا سيادة النائب، قال العمدة.

"شئ نادر" قال النائب "أنت تحب كلبك أكثر من ابنتك إلزى"

"سيدى النائب، مع كلبى مانى، يمكننى أن أتحدث، أما مع إلزى أو مع ميدى زوجتى التى توفاهما الله، لا يمكننى أن أتحدث" قال العمدة موضحاً "النساء لا يستمعون لأحد، أما مانى فقد كان دائماً يستمع إلى".

كان النائب يريد أن يعرف عم كان يتحدث مع مانى، بينما كانت الإيطالية تصب ماء إضافياً فى الإناء.

"هذا ما قد كان" قال العمدة واستطرد "لقد أخطأنا جميعاً، لكن لماذا يكون الرب الرحيم ظالماً لهذه الدرجة، لو أنه رحيم بالفعل، لماذا يفضل القرى الأخرى على قريتنا، لماذا يذهب الغرباء دائماً إلى قرى أخرى، ويتركنا نحن نكافح مع المليونيرات نزلاء المنتجع الذى يقع على الناحية الأخرى من الوادى، لماذا لا يأتى أحد إلينا، ما عدا

بعض الشبان المتجولين وهم يحملون حقائبهم على ظهورهم، وينامون في خيامهم، ويجلبون معهم أكلهم وشربهم، وعندما يقتربون من القرية، يؤكدون أنهم لم يروا في حياتهم أفقر وأتعس من هذه القرية، كنا نسأل أنفسنا أنا ومانى، لماذا لا يأتى انهيار جليدى أو تشقق أرضى ليعصف بتلك القرية ويمحوها من على وجه الأرض، كما يحدث لقرى أخرى، عندئذ، ستقدم المساعدات من جميع أنحاء سويسرا، وسيعلمون فى الراديو عن المساعدات المالية، ويأتينا رجال التليفزيون، وتشتهر القرية، ويعاد بناءها من جديد، وتتهال النقود علينا، مؤكد هناك خلل ما عند الرب الرحيم، فى أن تكون الأشياء غير عادلة لهذه الدرجة مع البشر ومع الطبيعة. كان الكلب يتفق معى فى رأى ونحن نتحدث، بالطبع كان يتكلم بعينيه، وعندما كنت أتنقل من مكان إلى مكان، من عضو بالمقاطعة إلى ممثل المقاطعة، ومنه إلى عضو المجلس الوطنى، وأعود متأخرًا فى الليل، أجد مانى وقد خرج من كوخه، جالسًا أمام باب البيت فى انتظارى. أسأله، ماذا تريد؟ ينظر إلى طويلاً ويعطينى كفه الأيمن، فأهز يده، وأقول له، أنت تريد أن تصافحنى، فيقول لى، على أن أترك هذا الجرى والتعب من مكان إلى آخر ومن مسئول إلى آخر، فهذا لن يفيد، ولن يؤتى بنتيجة، وسوف يتدبر الأمر هو بنفسه، هو مانى.

"يقول لك؟" سأله النائب متعجبًا.

"يقول لى بعيونه" رد العمدة "كنت أعرف ببساطة، ماذا يقصد الكلب. هل يمكن لسيادتكم أن تقيم حوارًا بهذا الشكل مع أية امرأة؟ لكننى لم أخبر ممثل الحكومة بالطبع، أننى أتحدث مع الكلب، هذا

وإلا كان سيعتبرنى مجنوناً. هل تتحدث سيادتكم أيضاً مع القطة؟"

"إنها ليست قطة، انه قط" أجاب الرجل وواصل "وهو لا يتحدث معى، بل يصمت معى، مما يعطى نفس النتيجة، نحن نتحمل سوياً كل السخافات التى تقابلنى كنائب بمجلس الشيوخ، وعلى أن أتحمّلها وأن أغمض عيني عنها بحكم الزمالة. زملاء سبعة فى المجلس، يجب أن يكونوا كلمة واحدة فى مواجهة أى شىء يأتى من الخارج! وعندما تعين امرأة فى المجلس، لا يجرؤ أى عضو على معارضتها، ولو أن امرأة أخرى عينت بالمجلس، فلن يتفق الاثنان قط فى أى شىء، ساعتها ينهار إطار الزمالة. فمن الأفضل أن يكون مجلس الاتحاد كله من النساء، سبع نساء. إنهن ليس أكثر غباءً من الرجال. لذا تجدنى سعيداً بأن يفهمنى القط، إننى أيضاً بشر، وكنائب بمجلس الشيوخ، أرتكب أحيانا أشياء حمقاء. لكن قل لى، أين كلبك الآن؟"

"قتلوه. أطلقوا عليه النار من مدفع الدبابة"

"وأنت ما زلت تجرى من محام إلى آخر؟ لماذا إذن؟" سألته النائب، هز الرجل رأسه. يجب أن يعرف الحكاية بشكل أكثر دقة. لماذا تأتى دبابة عسكرية إلى قرينتكم؟ فيلق بأكمله يحتل القرية، من أجل قتل مانى، وابتدأ العمدة يقص الحكاية.

هز النائب رأسه قائلاً "أصدق أن الجيش يمكن أن يفعل أى شىء أحمق، لكننى لا أصدق أن مانى يفعل ذلك. يتسلق إلى أعلى الصخرة ويجلس عليها حتى يمكنهم رؤيته وإصابته بسهولة "

لقد كان الكلب فضولياً، علق العمدة.

"يا رجل" قال الرجل وهو يضحك.

"لم يكن مانى، هو الذى قتله الجيش، أنت تفهم ذلك بالطبع يا سيدى النائب، كان تمثالاً من الخشب، كنت قد قمت بنحته منذ فترة، وقبل أن يتحرك الجيش إلى القرية، ذهبت مع ناظر المدرسة فى اليوم السابق ووضعنا الكلب الخشبى فوق الصخرة، خدعة للتمويه لا أكثر"

"أفهم ذلك، وأين الكلب الآن؟" سأله النائب

"فى كهف بالغابة" رد العمدة "أذهب إليه بالطعام مرتين فى الأسبوع، وتذهب إلزى أيضاً لتطعمه، وأحياناً يبحث مانى بنفسه عن شىء يأكله"

"كلب ذكى" أكد النائب "أذكرى من سيده. الذى لا يسيطر على ابنته"

راقب العمدة الإيطالية وهى ترفع إناء حمام القدم، والرجل وهو يجفف قدميه بالفوطه.

"لم تكن إلزى منزعة لذلك" قال العمدة "إلزى فتاة جميلة ومثيرة مثل أمها، كان على أن أراقبها دائماً، ذات يوم رأيت رجلاً فى غرفتها، من هو، لا فرق، أعتقد أنه نولدى النجار، لكننى غير موافق على أن يتزوجها. فأى طفل يأتى، لابد وأن يحمل اسم بريتاندر، إننى آخر بريتاندر فى العائلة، وإن لم يكن ولداً، فسوف يندم الرب على ذلك، سأكفر به، وأصير ملحدًا"

ضحك النائب قائلاً، أنه لم يأت الوقت بعد لذلك مع إلزى، لكنه بطريقته تلك، ضيع كل الفرص لرفع دعوى، وكان كل مجهوده

وتعبه، والتتقل من هذا إلى ذاك بدون معنى، كان الكلب على حق، لكن ما أثار تعجبه هو، كيف يستهلك المنتج المغلق كل هذه الكمية من اللبن، أليس من الممكن أن يكون كلب آخر غير مانى هو الذى عض الحارس المشكوك فيه أصلاً.

"بكل تأكيد" قال العمدة "هذا ما فكرت فيه، خاصة وأن الكونت يمتلك كلباً شهيراً فى الناحية من نوع الدوبرمان"

"اللجنة!" قال النائب "هل أخبرت ممثل الحكومة بذلك؟"

"لم يدر بخاطرى ذلك سوى الآن" رد العمدة

هز النائب رأسه وسأله عما إذا كان المنتج خالياً أيضاً هذا الشتاء، وهو يرتدى جوربه

"تزلأ قليلاً كالشتاء الماضى" قال العمدة "هناك أناس بالداخل، وخلف النوافذ يرى ضوء مشتعل، أحياناً تسمع أصواتهم وهم يتحدثون"

"هكذا يا حضرة العمدة، الآن نحتسى سوياً بعض النبيذ الأحمر" قال النائب

"وتحكى لى بدقة، تفاصيل ما حدث مرة ثانية. لكن لا تنسى شيئاً كما نسيت من قبل"

خبط النائب على ركبته اليمنى، فقفز القط الأسود إلى حجره. عادت الإيطالية ومعها زجاجة النبيذ الأحمر. وابتدأ العمدة يحكى الحكاية كلها مرة ثانية، والنائب مصغياً إليه، حتى أجهزا على

الزجاجة. هنا قال النائب أنه يمكن للعمدة أن ينصرف، لقد حجز له غرفة فى فندق مجاور، وأنه يؤسفه أنه لا يمكنه مساعدته، فهو مجرد فرد واحد، قريباً سيصير مائة.

"لا يهم" قال العمدة " إلى اللقاء إذن. لقد أراحنى كثيراً، أن أتحدث مع أحد عن كلبى".

انسحب نائب مجلس الشيوخ إلى غرفة مكتبه، ليكتب مذكرة لنائب الحكومة الأعلى بالمقاطعة، يخبره فيها بأن ممثل الحكومة كان متحيزاً فى معالجته لحالة بريتاندر، وأنه لم يقم بدراستها كما ينبغى، لدرجة تدعو للريبة والشك. فلم يحدد بشكل واضح، أى كلب قد قام بعض الحارس. فالمدعى المتظلم، والمطالب بتعويض الضرر، والذي تراجع عن دعواه، يمتلك هو الآخر كلباً شرساً، كما أنه من غير المنطقى أن يستهلك الحارس العضوض وحده، كل هذه الكمية من اللبن، التى كانت تأتى يومياً إلى المنتجع. وأنه تحت كل هذه الملابس، لم يكلف خاطره بزيارة المنتجع وتقصي الحقائق على أرض الواقع، الشيء الذى أجده تراخياً زائداً. والآن وقد عاد الشتاء، أرى أن يذهب ممثل الحكومة إلى المنتجع، ويعاين بنفسه الوضع على الطبيعة، ليتأكد إن كان المنتجع خاوياً أم لا، وأن يأخذ معه بعض الأعضاء الآخرين كشهود، فمن الواضح أن ممثل الحكومة متحيز وبشدة، لدرجة تجعله يدفع بفيلق كامل من وحدات الجيش إلى قرية وادى الفوضى، من أجل قتل كلب، مما يعتبر بكل المقاييس فضيحة عسكرية فى تاريخ جيشنا الوطنى، ويستوجب تقديم ممثل الحكومة لمحاكمة عسكرية. وأنه بهذه المناسبة، قد قرر كرئيس للجمعية

السويسرية للأخلاق باسم مجلس الإدارة، حل هذه الجمعية، وإرسال جميع ملفاتها للمدعى العام التابع للمقاطعة. وبعد أن انتهى من كتابة المذكرة، رجع إلى مقعده واسترخى، فقفز القط على حجره، واستغرق فى النوم.

ذهب جميع أعضاء مجلس الحكومة التابع للمقاطعة، كذلك المحقق القانونى إلى قرية وادى الفوضى، التى لم يزرها أغلبهم من قبل. علم الكونت فون كوكسن بالزيارة سرًا من أحد الموظفين بالمجلس، فانسحب إلى ليشتنشتاين وقبع هناك، بينما كان الوفد الرسمى يعتقد أنه لا يعلم بهذه الزيارة. وأرادوا أن يفاجئوا المنتجع. دفع فانتسنريد بجميع الرجال إلى الغرفة العلوية بمبنى الملحق الضيق، حيث ظلوا ملتصقين بعضهم ببعض. لكنه كان من الصعب أن تعود غرفة العمليات إلى شكلها الأسمى كمطبخ، حيث كان جو ماريجوانا ما زال راقداً تحت تأثير التخدير الكلى، الذى تطلبته عملية تغيير ملامح وجهه، مما سبب بعض القلق لفانتسنريد، أثناء مرور وفد الحكومة وتجولهم فى المنتجع. قام فانتسنريد، الذى كان لم يزل يعرج خفيفاً، بفتح جميع القاعات، الصالون وغرفة الطعام، الغرف الفردية والغرف المزدوجة، والسويتات الفاخرة، كل القاعات خاوية، ما عدا الغرفة العلوية الذى ضاع مفتاحها منه. ظل يبحث ويبحث عن المفتاح، لكن ممثل الحكومة رأى أن لا ضرورة لذلك، فلا داعى لأن يصعد الجميع للغرفة العلوية بالمبنى الملحق لمعاينتها، شئ سخي، لا داعى، عندئذ قال فانتسنريد أنه وجد المفتاح، لكن أعضاء الوفد كانوا بالفعل ينزلون السلالم. ما كاد فانتسنريد يأخذ نفسه من الموقف

الصعب، حتى طلب منه المحقق دون توقع، أن يعاين غرفة الغسيل في البدروم. كان من المؤكد أن جو ماريجوانا سوف يفتضح أمره، لو أن فاننسنريد لم يضع ساقه باحتراف أمام ساق المحقق، فسقط متدحرجاً على السلالم حتى أسفل البدروم، مما أدى إلى كسر ساق المحقق، وهكذا استبعدت تماماً غرفة الغسيل من التفتيش، وانشغل الجميع بطلب الإسعاف والطبيب، ولم يعد هناك وقت لسؤال أحد من أهل القرية.

يوم الأحد ليلة عيد البشارة، أنهى موسى ميلكر الصفحة الخمسمائة من مخطوطة كتابه "ثمن النعمة". خرج إلى الشرفة. كان الليل قد تقدم كثيراً، واختفى القمر خلف أشجار الغابة. كان الجليد لم يتساقط بعد، لكن الضباب الكثيف كان يغطي منطقة جرين بأكملها، ولم يعد ممكناً أن ترى من القرية سوى برج الكنيسة، الذى ينبثق خلال الضباب أيضاً فى ضوء القمر، فى هذه اللحظة تذكر نهر النيل. دخل غرفة النوم. وجد سيسلى ترقد فى فراش الزوجية، تقرأ رواية، تدخن السيجار وتأكل الشوكولاتة، كرات من الشوكولاتة، كرات سوداء وكرات بنية وكرات بيضاء، ملابس وخشنة. على الكوميدينو كيسان آخران من الشوكولاتة. جلس موسى على حافة السرير بجوارها، وحشر فى فمها كرة من الشوكولاتة، وعندما حشر الكرة الثانية، وضعت السيجار فى المطفأة، والرواية على السرير، وفتحت فمها بتلذذ، حشر كرة أخرى فى فمها. نظرت إليه نظرة كلها احتقار، جامدة قاسية وساخرة، كان يعرف أنها تعرف ماذا ينوى أن يفعل. لم تقاوم البتة. لم تكن هناك ضرورة للمقاومة. ظل يحشر

كرات الشوكولاتة فى فمها، الواحدة تلو الأخرى، يحشر ويحشر
ويحشر، وعندما انتهى من الكيس الثالث، لاحظ أنها قد ماتت. ذهب
موسى ميلكر إلى غرفة مكتبه، كتب إهداء المخطوطة: إلى سيسيلي،
ودون التاريخ.

كان الأب الكبير ويرميا بيليال يفضلان أن يتحدثا سوياً عن
مشاكلهما على هضبة الملك هاكون فى أقصى القطب الجنوبي.
وكانت هذه اللقاءات تتكرر على فترات متباعدة جداً، مما جعلها فى
نهاية الأمر نادرة الحدوث. وكانت تتم دائماً فى نفس المكان وبـنفس
المنطقة. كان الطقس فى اللقاء الأخير استوائياً حاراً، وكان اللقاء
مثمراً جداً، فلقد كان محور الأرض فى وضع غير عادى. هبطت
المروحيتان على المسطحات الجليدية، كانت الرياح تصفر وتزوم،
ربما كانت مروحية واحدة التى هبطت، فهنا تنعكس صور الأشياء
جميعها على الجليد فى ذلك الهواء الزجاجى، عندئذ قام يرما بيليال
بالترحيب بالأب الكبير، لو أنه كان فعلاً الأب الكبير، فلقد تغير شكل
كل منهما كثيراً عن ذى قبل، لدرجة أن جبريل اعتقد أنه فعلاً الأب
الكبير، فهو صورة مطابقة للأب الكبير، ليس لأن كلاهما يرتدى
السموكنج، فالجميع يرتدى سموكنج. هناك شىء ما غير متسق فى
تلك الصورة المطابقة، إلى أن اكتشفه جبريل: يرما بيليال ليس
الصورة المطابقة للأب الكبير، لكنه صورته المنعكسة. كلهم صور
منعكسة، الجميع. الصورة المنعكسة للأب الكبير هى يرما بيليال،
والصورة المنعكسة ليرما بيليال هى الأب الكبير. الصورة المنعكسة
لجبريل هى صموئيل سكرتير بيليال، هو الآخر عدو الشمس (ألبينو)،

وبالعكس، الصورة المنعكسة لأوريلز آسيتوت، الذى يصنع الساعات التى تدور للخلف لمجموعة بعينها، هى الصورة المنعكسة للجراح ميكائيل آزموديوس، وبالعكس، والمحامى رافائيل، الذى ضغط نفسه فى شخص واحد، كانت تجلس أمامه صورته المنعكسة فى شخص بيلسبوب، الذى كان رافائيل يجلس فى مواجهته: باختصار، كل فرد يجلس فى مواجهة فرد آخر، والعالم لم يكن منقسمًا بمرآة لقطعتين، كما أن بيليال وصموئيل وآسيتوت وآزموديوس وبيلسبوب، ليسوا سوى صورًا منعكسة أو انعكاسات. كان وقت التحول الشتوى للشمس، ٢١ ديسمبر، وسوف يستمر حتى ٢٠ مارس. حلفت طائفة البريد بصوتها المزعج على رؤوس المجتمعين الجالسين على مقاعدهم المريحة فى الحديقة، وألقت بمئات من الخطابات، كلها بلا شك خطابات رجاءات واستجداءات وتوسلات للأب الكبير. كنست الريح أكوام الخطابات بعيدًا. من ناحية الساحل، الذى يبعد حوالى ألف وخمسمائة كيلو مترًا، ظهر جيش من طيور البطريق فى طابور طويل، تتبختر بتؤدة ووقار كحجاج ورعين، وأحاطوا بالمجتمعين. بجوار الأب الكبير، توجد طاولة صغيرة، عليها مطحنة بن، وماكينة لصنع القهوة، وخمسة فناجين، كما يوجد مثلهم بجوار يرميا بليال. أمسك الأب الكبير بمطحنة البن، أمسك يرميا بليال بمطحنة البن، بينما كان باقى المجتمعين فى حالة نعاس، حتى طيور البطريق، بدأ الأب الكبير يدير المطحنة، بدأ يرميا يدير المطحنة، كان الأب الكبير يدير المطحنة مع اتجاه عقارب الساعة، بينما كان يرميا يدير المطحنة ضد اتجاه عقارب الساعة، وبينما كان الاثنان يديران،

ابتدأت الشمس تدور حول المجتمعين، وحول طيور البطريق، وكلما ازدادت سرعة التدوير، كلما ازدادت سرعة دوران الشمس، وكونت حولهم فى النهاية دائرة واحدة من الضوء الخاطف للأبصار، تقترب تدريجياً من الأفق، وتقسمة فى النهاية إلى قطعتين، وتختفى، وعندما اختفت، دارت حولهم قلنسوة ذهبية مشعة، من النجوم المندفعة والقمر، تصعد وتهبط بلا توقف، وعندما يدير الأب الكبير المطحنة، ليست الأرض وحدها هى التى تدور حول نفسها، بل تدور الأرض فى نفس الوقت حول الشمس، وهكذا يدور النظام الكونى كله حول الشمس، والشمس حول سكة التبانة، وسكة التبانة وضباب أندروميذا حول مجموعة الكواكب، التى تنتمى إليها، والتى هى نفسها تدور، العالم كله يتحرك نتيجة دوران مطحنة البن، وكلما ابتعدت الكواكب، تدور بسرعة أكبر، بسرعة مذهلة، تفوق بدرجات مضاعفة سرعة الضوء، تختفى معها كل قوانين الفيزياء. ليس هذا العالم وحده الذى يدور حول نفسه، كسهم دوار منطلق فى المكان والزمان بلا توقف، لأن الأب الكبير يدير مطحنة البن، فيرميأ بليال يدير مطحنته هو الآخر، وكما يدور الكون حول نفسه بسرعة مذهلة، يدور أيضاً الكون/الضد بسرعة مذهلة بطريقة عكسية، الشيء الذى لا يلحظه الأب الكبير، أن كونه وكون يرميأ ينقسمان دون أن يتلامسا، كما لو أن كلا منهما يرقد على ناحية من المصيدة/الشبكة التى تدور فيها وعليها كرات الكواكب والكواكب الضد بسرعة مذهلة دون أن تتلامس، تدور حول المصيدة أو فى المصيدة بسرعة تفوق سرعة الضوء، الشيء الذى لا يهتم الأب الكبير ولا يهتم بليال، فهما لا

يهتمان أصلاً بالفيزياء ولا يعلم الكون، ولم يسمعا قط عن تمدد الكوكب، أو الثقوب السوداء، أو الانفجارات الكبرى فهما لم يكتراثا قط بمثل هذه الخزعبلات، بينما كانت إلزي تنظر من نافذتها فى منتصف الليل يأكلها الشوق الغامض والحنين المبهم، دون أن تتوقف عند فكرة معينة، انقشع الليل فجأة ثم عم الظلام ثانية، كانت تفكر فقط فى جيمى الفحل، وفى أقصى الجنوب على هضبة الملك هاكون، كان دوران الشمس، سكة التبانة، المجرات، المكان، الزمان، نظام الكواكب يهدأ تدريجياً، إلى أن توقف، وتوقف معه العالم الضد، فى البداية، ظهرت النجوم التى تتناقص سرعة دورانها حول الأفق الجنوبى فى أوريون وسيرىوس وكانوبوس، والصليب، وسحابتا ماجلان، ثم صعدت الشمس عاليًا، ودارت حول الأفق، مر نصف عام فى يوم، صعدت الشمس عاليًا مرة ثانية، ثم توقفت، وعادت قوانين الطبيعة كما كانت، دون أن تشغل بال الأب الكبير أو يرميا بيليال. لقد توقفا عن التدوير، واستيقظ الآخرون من نعاسهم. كذلك طيور البطريق. أعد جبريل وصموئيل القهوة وقدمها للمجتمعين. شرب الجميع الفناجين حتى آخرها. لا أحد يتكلم. صمت مطبق. جاءت المروحيات. تركوا الفناجين وماكينات صنع القهوة ومطاحن البن ومقاعد الحديقة كما هى، ولم يأخذوا معهم سوى ما تبقى من أكياس البن. Kaffe-Oeteker Fr. 10. 15 للقاء القادم. تهادت طيور الطريق فى طريقها نحو الساحل، ركب المشاركون مروحياتهم، أو رجليتهم، وانطلقوا، ذهبت إلزي إلى الفراش، لم يأت جيمى الفحل. جيمى الفحل يأتى مرة واحدة فقط.

فى الصباحت؁ راحت جيمى الفحل يبحث عن جو ماريجوانا فى جميع أنحاء المنتجع. فهو لم يره بعد أن أجريت له العملية فى وجهه. حقيقة؁ لم يره أحد سوى الطبيب الذى كان يقابله صدفة بين الحين والآخر؁ والذى أكد لجيمى الفحل؁ أنه قد رأى جو ماريجوانا منذ فترة قصيرة فى ممرات المنتجع؁ من الواضح أن جو ماريجوانا يبحث عن جيمى الفحل؁ مثلما جيمى الفحل يبحث عن جو ماريجوانا؁ وهكذا قام جيمى الفحل بالتجول فى جميع أرجاء المنتجع بحثاً عنه؁ فى المبنى الملحق؁ وفى المخازن وحتى فى غرفة الغسيل؁ حيث كان يرقط طائر الأسكا تحت تأثير التخدير الكلى. مرة ثانية قابله الطبيب فى القاعة؁ فناده بصوت عال: "جو؁ جيمى الفحل يبحث عنك يا جو ماريجوانا"

فسأله جيمى الفحل مندهشاً "من يبحث عن من؟" وعندما رد الطبيب قائلاً أنه منذ نصف ساعة؁ قابل جيمى الفحل فى الطابق العلوى؁ وسأله عن جو ماريجوانا؁ صرخ فى وجهه قائلاً أنه هو جيمى الفحل بلحمه ودمه!

"اللعة. غير معقول. لقد خلطت بينك وبين...". قال الطبيب وهو يتأمل جيمى الفحل.

"وبين من؟"

"وبين جو ماريجوانا".

"إن وجهه يختلف كليةً عن وجهى" قال جيمى الفحل.

"لم يعد الآن كذلك" قال الطبيب بفخر وزهو "انجاز مذهش. لقد حققت عملاً فنياً رائعاً. لقد أجريت العملية بنفسى لجو ماريجوانا.

والآن، صار وجه جو ماريجوانا هو نفس وجه جيمى الفحل

"الآن يبدو وجهى مثل وجهه" قال جيمى الفحل متلعثمًا "لماذا فعلت ذلك؟"

إنهما أفضل اثنين من القتلة فى المجلس بأجمعه، كان الرد، فعندما يقتل أحدهما شخصًا فى سان دييجو، ويكون الآخر فى بوسطن، عندئذ يمكن للقاتل فى سان دييجو أن يثبت عدم تواجده فى مكان الحادث. هكذا، رد جيمى الفحل بتردد، لكننى أتعجب أين يختفى جو ماريجوانا، لم يرد الطبيب، بل حلق فى اتجاه مدخل القاعة. الجميع يحملون فى نفس الاتجاه: من خلال الباب المفتوح الواسع، دخل موسى ميلكر وظل واقفًا هناك، أنيقًا كعادته، فى حلته السوداء الضيقة، أبيض وسمين، بشعره الزنجى المجعد، يحمل فى يده حقيبة صغيرة.

كان موسى ميلكر فى حالة ارتباك. كان يعتقد أن المنتج خاويًا لا أحد فيه، فاستخدم مفتاحه الخاص فى فتح الباب الرئيسى. خلف وراءه أيامًا صعبة، كتب فيها طبيب قرية بوبندورف شهادة الوفاة وهو يهز رأسه متعجبًا، فلم يمر عليه طوال حياته إنسان يموت من كثرة تناول الشوكولاتة، فسأل إن كانت المتوفية قد تناولت شيئًا آخر غير كرات الشوكولاتة. أكد موسى بأسى وأسف أن لا شيء سوى الشوكولاتة. دفنت سيسيلى بجوار إيميلى فى مقبرة بجرينفيلد، أما جثة أوتيلى فقد احتفظ بها النيل ولم يفرط فيها. كانت سيسيلى آخر فرد من آل رويشلى. أما الفيلما التى كان موسى المسكين قد تنازل لها عنها مع جميع أملاكه، حتى يظل مسكينًا، فقد عادت لصاحبها مثلما

عاد خاتم بوليكراتيس. أصبح الآن من فئة الملتيميليونيرات فى "بيت
الثراء"، فقرر أن يقضى فترة أعياد الميلاد فى المنتجع حتى يستمتع
لآخر مرة، ببركة الفقر الذى اختفى عن حياته إلى الأبد. لم ير ذلك
مناسباً، أن يطلب من أوجوست توصيله إلى هناك بالروزلر رويس،
فقد كان يود أن يذهب إلى هناك وهو فقير. فأخذ القطار القشاش إلى
برن، ثم القطار السريع بالدرجة الثانية إلى زيوريخ، ثم إلى عاصمة
المقاطعة بالدرجة الأولى، ضد قرار التقشف الذى أخذه على نفسه، ثم
أخذ بعدها تاكسى. كان يرغب فى أن يكون وحده تلك الليلة، وأن
يعتكف مع سره الدفين حتى ينسأه، ويحتفل بعيد ميلاد المسيح فى
خلوة وهدوء مع الأب الكبير. وقف موسى فى بهو المنتجع غير
مصدق لما يراه، كان البهو ممتلئاً بمجموعة من الرجال الأفظاظ،
مستلقين بلا مبالاة على المقاعد والأرائك - التى كانوا قد أرجعوها
لمكانها من غرفة الملحق - رجال تبدو على ملامحهم القسوة
والشراسة، وتفوح منهم رائحة القتل والدم والجثث البشرية. لم يكن
موسى وحده مفاجئاً، بل كانت مفاجأة للجميع. لم يتحرك أحد. الحل
الأمثل، أن نطلق عليه الرصاص وننتهى، هكذا فكر أغلبية الرجال،
لكن الأسلحة جميعها كانت ما زالت فى غرفة الملحق. أخيراً، نهض
بيبى هاكمان متثاقلاً، اتجه بتؤدة إلى موسى، وقف فى مواجهته،
وضع يديه على كتفيه بالقرب من رقبته، حتى يمكنه الضغط عليها
وقت اللزوم، وسأله لو أن أحداً يعرف أنه هنا، بصرف النظر عن من
يكون. إنه يقوم بتعليم الفقر، وببركة الأب الكبير، قام بتأجير هذا
المنتجع فى فصل الصيف من أجل هذه المهمة، أجاب موسى
بصعوبة، قاصداً بالأب الكبير، الرب بالطبع، بينما ظن بيبى هاكمان

أنه يقصد بالأب الكبير، رئيس الرؤساء الأسطوري، الأب الروحي للجميع. اتضح الموقف بالنسبة لموسى، وهو أن (بيت الفقر) تستخدمه جمعية الأخلاق في أغراض أخرى، غير مواسة الأثرياء التعماء. لقد انحرف المكان عن أهدافه السامية، كان يمكن لليدين اللتين حول رقبتة أن تضغطا عليها، فجأة ساوره شعور بالثقة في الجميع، الذين تجمعوا حوله وأحاطوا به، لقد كان بإمكانهم فعل أى شىء. من الأفضل أن أضغط وننتهى، فكر بببى هاكمان، وأراد فعلاً أن يضغط، فى اللحظة التى ظهر فيها فون كوكسن خارجاً من المصعد، يتبعه ااجار وأوسكار. لقد لاحظ فانتسنريد حضور موسى ميلكر، لكنه لم يجرؤ على فعل شىء، سوى أن يخبر فون كوكسن فى البرج الغربى. أهلاً بك يا سيد ميلكر، قال الكونت مرحباً ومعرفاً نفسه، كوكسن، الكونت فون كوكسن، ترك مونوكله يسقط، التقطه بيده اليسرى، نفخ فيه ثم مسحه بمنديل منظفاً إياه، وهو يفكر فى أفضل الطرق للخروج من ذلك الموقف الحرج. التخلص من ميلكر فيه مخاطرة كبيرة، فمن يدرى أين كان، ومن أين جاء، وربما كان ذلك بالتحديد ما يرغبه رافائيل ورافائيل ورافائيل، أن يختفى موسى ميلكر نهائياً، وربما تكون رغبته هو أيضاً، فون كوكسن - اللعنة - موقف صعب قاتل. ليس هناك وقت للتحدث بالتليفون، كان بإمكان فانتسنريد أن يعطله فى مكان ما، لكنه هنا الآن. لقد قام بتأجير المنتجع فى فصل الشتاء، قال الكونت، وهو يضع المونوكل على عينه، مما دعا الجميع للتعجب، ما عدا موسى ميلكر الذى اكتشف السر، لقد قام فون كوكسن بتأجير المنتجع حتى يحتفل فيه مع أصدقائه بعيد الميلاد المجيد. سوف يكون شرفاً كبيراً للجميع، لو أن موسى ميلكر ألقى

عليهم موعظة عيد ميلاد السيد المسيح. إن أصدقاءه جميعهم فنانون أو متذوقون للفنون. اللعنة، فكر ببني هاكمان، لكنه اقتنع بأن هذا هو المخرج الوحيد. مشى موسى ميلكر مترنحاً، حتى وصل إلى المقعد وألقى بنفسه فيه منهكاً، وهو يتنفس الصعداء.

ليلة عيد الميلاد، حضر جيمي قبل الغروب بنصف ساعة، ذهب إلى النبع أسفل الوادي. سمعت صوت فرونتين يأتي من الغابة وهو ينشد: "كالיום الذي جئت فيه إلى العالم، وقفت الشمس تحيي الكواكب، قريباً ستجني ثمار ما فعلت. هذا هو القانون الأزلي" وعندما حاولت أن تشرب من مياه النبع التي تتصاعد منها الأبخرة وسط الصخور، وهي تمسك بعود غاب، أحست بشخص يقف خلفها، استدارت فوجدت أمامها جو ماريجوانا

"جيمي" قالت إلزي فرحة

ظل جو ماريجوانا في مكانه لم يتحرك

"أخيراً تعود" قالت إلزي

لم يرد جو ماريجوانا، تأملها بنظرة باردة. تأملته. لا يمكن أن يكون سوى جيمي، حتى لو أن شعوراً مبهماً يراودها بأنه ليس بجيمي. طلبت منه أن يحتضنها، فاحتضنها. طلبت منه أن يقبلها، فقبلها. أبعدته إلزي، ثم صفعته على وجهه قائلة، انه ليس جيمي. ضحك جو ماريجوانا قائلاً أنه جيمي. ترددت في قبول ذلك، وسألته هل هو جيمي بحق؟ بحق وصدق قال جو ماريجوانا. هي لا تصدقه، فقد كان يقبلها وسط اللين المدلوق وفي فراشها بطريقة مختلفة. لو أنه

معها وسط اللبن أو فى فراشها، فسوف يقبلها كما كان يقبلها من قبل، قال جو ماريجوانا. جلست إلزى على حافة السور تتأمله وهى تفكر. انه جيمى بالفعل، لكنه عندما كان معها فى الفراش، كان قليل الكلام، لم يقل سوى اسمه، وماذا عساه أن يقول فى تلك اللحظة، أما الآن فهى تريد أن تعرف، من عساه يكون. مجرم كبير، قال ضاحكاً، بنفس النظرة الباردة، لكنها كانت متأكدة أنه جيمى. زميلك الآخر، عضه مائى فى مؤخرته، هل تذكر؟ نعم أذكر، إنه جو ماريجوانا، رد عليها جو ماريجوانا. مجرم كبير هو الآخر؟ سألته. مجرم كبير هو الآخر، سفاح. عظيم، قالت إلزى، ثم سألته أكلهم مجرمون سفاحون فى المنتجع؟ كلهم؟ سألته ثانية بفضول، كل هؤلاء المجرمين قادمين من أمريكا؟ هز رأسه موافقاً. "رائع!" قالت إلزى، وصممت. حوم طائر العقعق ودار دورة ثم ابتعد. سألته هل قام هو شخصياً بقتل الكثيرين، فhez رأسه بالإيجاب، قالت "مثير، شهواني!" اقتربت الشمس من المغيب. جفاف شديد، كل شىء جاف هنا فى وادى الفوضى، قال جو. يجب ألا يشعل أحد النار، قالت إلزى. ربما يحدث ذلك، رد عليها. حوم طائر العقعق ثانية، ودار دورة ثم ابتعد. سألتها إن كان يمكنه التحدث مع أبيها. "بالطبع" أكدت إلزى. شربت من مياه النبع، وصعدا سوياً الهضبة فى طريقهما إلى القرية. كانت شجرة عيد الميلاد بكامل زينتها عندما دخلا غرفة الاستقبال. من هذا الرجل الذى أحضرته معك، سألتها العمدة مرتاباً. إنه جيمى، ردت إلزى، يريد أن يعتذر عن اللبن المدلوق. لم يفهم العمدة ماذا تقصد. جيمى هو الرجل الذى قام باغتصابها، قالت إلزى. إنه قادم من أمريكا. ابتلع العمدة ريقه، ضم قبضتيه، وهو يلعن "القحبة، الوسخة، اللعنة على

هذه الأيام الخرا" "أبى!" قالت إلزى مستكرة. رد عليه جو ماريجوانا:
"القواد، الملعون، الديوس" "جيمى" قالت إلزى وهى تخبط
برجليها على الأرض كالأطفال. "الحلوة المدللة الشهية" قال العمدة
مستسلماً. "إلزى ما دى دا، أومى ما، سى دى أو" قال جو ماريجوانا
وهو يضحك بسخرية. تسائل العمدة متعجباً، لماذا يفقد طريقة إلزى
فى الحديث. إنه واحد منهم، أجاب جو ماريجوانا، إنه القس بريتاندر،
لقد أهملوا منزل القس، ليال بطولها قضاها الشتاء الماضى فى ذلك
المنزل المتداعى. ليس هذا الشتاء، قال العمدة، فقد كان ذات مرة فى
غرفة إلزى. ساعد لكم بعض القهوة، قالت إلزى وانصرفت إلى
المطبخ. لقد تغير تغيراً شديداً، لو أنه هو فعلاً القس بريتاندر سيب،
قال العمدة. ما زال يتذكر، كيف ترك سيب القرية منذ خمسة عشر
عاماً. ما زال يتذكر هو أيضاً، قال جو ماريجوانا، كيف كان العمدة
رجلاً شقيماً. هرش العمدة رأسه قائلاً أنه من المستحيل أن يتعرف
عليه. لن يستطيع أى شخص ذلك، علق جو ماريجوانا. هذا هو تأثير
المهنة. "عمل طيب؟" سأله العمدة "قاتل محترف" رد جو ماريجوانا
بحيادية، مهنته أن يقتل السفلة والأوغاد. قطب العمدة جبهته قائلاً، أن
هذه ليست مهنة. فى أمريكا نعم، قال جو ماريجوانا. وهل هى مهنة
مربحة؟ تسائل العمدة متعجباً. مربحة جداً، لحد لا يصدق، أكد جو
ماريجوانا. هناك شىء آخر: عجيزته. صمت مندهشاً لم يعلق. ماذا
يقصد بذلك، سأله العمدة. "أنظر! إلق نظرة" قال جو ماريجوانا
وأسدل بنطاله إلى أسفل "رحمتك يا رب" صاح العمدة مفزوعاً، إنها
عضة غائرة، وانشرحت أساريه، مانى بالتأكيد هو الذى فعل ذلك.

كان بالفعل مانى، قال جو ماريجوانا، ورفع البنطال إلى أعلى. لكن مانى قد عض فانتسنريد، قال العمدة. كلب فون كوكسن الدوبرمان هو الذى عض فانتسنريد، قال جو ماريجوانا، وقص القصة كلها. "الكلب، السافل، سمسار الفن" زمجر العمدة، لقد خذعه وأساء إلى سمعة مانى، وتساءل: من إذن، بحق الشيطان قد تدرج مع إلزى فى اللبن؟ جيمى، أجاب جو ماريجوانا. لكنك أنت جيمى، قال العمدة. لقد قاموا بإجراء عملية فى وجهى، قال جو ماريجوانا، ولحسن حظى، عندما جاء وفد الحكومة، لم يفتشوا المطبخ، فقد كنت راقداً هناك تحت تأثير التخدير الكلى. وعندما أفقت، تأملت الوجه الجديد، ورأيت وجهاً مختلفاً تماماً، ليس كما تعتقد إلزى أنه وجه جيمى الفحل، الذى تدرجت معه فى اللبن، لكنه وجه الرجل الذى عضه الكلب، والذى يدعى جو ماريجوانا، ولأن إلزى تعتقد أنه جيمى، فسوف يظل جيمى من أجلها، إنه يعترف بذلك كله للعمدة، حتى يتأكد أن قصده جاد. "لحظة واحدة" اندفع العمدة قائلاً، من إذن هو الذى كان فى غرفة إلزى، جو ماريجوانا أم جيمى الفحل؟ إذا كان لكما نفس الوجه؟ لا يهم، قال جو ماريجوانا، المهم، أنه مستعد أن يتزوج من إلزى. المهم، أن تكون بريتاندر، قال العمدة. إن كانت إلزى ترغب فى ذلك؟ عندما تنتهى من كل شىء، عليك أن تسألها هى، قال جو ماريجوانا، عنده اقتراح. بخصوص ماذا؟ سأله العمدة. بخصوص هؤلاء الذين فى المنتجع، أجاب جو ماريجوانا. إنهم جميعهم الآن فى المصيدة، هو أيضاً. قبل أن يأتى إلى هنا، كان عليه أن يقتل رجلاً فى غرفة بهدسون، يعتقد أنه رئيسه، لكنه ربما لم يكن رئيسه، بل أحد الذين

أجريت لهم أيضًا عمليات في وجوههم، وذلك حتى يعتقد أنه قتل رئيسه ووضعه في مدخنة المدفأة. أخبره العمدة أنه لا يفهم شيئًا. لم يعد يفهم شيئًا هو الآخر، أكد جو ماريجوانا. أنه رجل شهير بالفعل، كذلك جيمي الفحل. وبعد أن غيروا وجهه بوجه جيمي الفحل، صار هناك الآن اثنان جيمي فحل. في حقيقة الأمر، لم يعد له وجود الآن، جو ماريجوانا أو بريتاندر سيب. فعلاً، أكد العمدة. إذن، على العمدة أن يفهم اندهاشه وقتها من ضرورة إجراء العملية، وأن يجعلوا من وجهه نسخة أخرى من وجه جيمي الفحل، قال جو ماريجوانا. لا يمكن أن يوجد اثنان جيمي فحل، بل واحد فقط. هذا منطقي، قال العمدة معلقاً. لو قتل جيمي فحل، يظل هناك جيمي فحل آخر. هذا معقد، قال العمدة. قال جو ماريجوانا، أنه متأكد، أنهم حولوه إلى جيمي فحل بهدف التخلص منه، وليس من جيمي الفحل، وقد تخلصوا بالفعل من جو ماريجوانا عن طريق إجراء العملية. من أجل ذلك جاء إليه، بريتاندر إلى بريتاندر، وعلى العمدة أن يساعده، وهكذا يساعد القرية أيضًا. عادت إلزى بالقهوة.

كان يجلس منقبض الصدر في الكنيسة، يراقب النجوم وهي تتلألأ من السقف المتهدم، وسرعان ما تغطيها السحب. كان المكان مضاء بلمبة عارية لا غير. وكان حائط المذبح منهاراً. خلفه يتدلى حبل من برج الكنيسة إلى أسفل. تسلق العمدة بقايا الحائط وابتدأ في شد الحبل، فسمع صوت الناقوس آتياً من البرج ضعيفاً، فقد كان ناقوس المطافئ. تدفقت الجموع زاحفة من البيوت إلى الكنيسة. صعد جو ماريجوانا على منبر القديس، قفز على السلاسل بساق واحدة، تبعها

بالساق الأخرى، ثم بالاثنتين مرة واحدة، اعتدل في وقفته. امتلأت
 الكنيسة تدريجياً بأهل القرية. كان المكان مظلماً، لدرجة تصعب فيها
 رؤية كل منهم للآخر. جاء صوت جو ماريجوانا كما لو أنه أت من
 السماء، كان الموقف رهيباً، زاد من رهبته هبوب العاصفة التي
 أخذت تشتد بالتدريج، وتلقى بضوء اللمبة المتأرجحة على وجهه،
 تبتعد فيختفى وجهه، يظهر ويختفى، يظهر ويختفى، استمر الوضع
 على هذه الحال طوال الموعظة. كثيراً ما استمع أهل القرية
 المتجمعين هنا الآن إلى موعظات أبيه، هؤلاء المنحشرين في الكنيسة
 الضيقة نصف المسقوفة، كما لو أن العاصفة الشديدة قد ضغطتهم إلى
 بعض. كان أبوه إيمانويل بريتاندر قسيس القرية منذ زمن ولى، كان
 يلقي كل عام في نفس الميعاد، موعظة ليلة عيد ميلاد المسيح، هنا
 بنفس المكان، على نفس المنبر، حيث يقف الآن في هذه اللحظة ابنه
 ستيب، وبدلاً من ركام الطوب والأسمنت، كانت تنتصب شجرة عيد
 الميلاد، مزينة بالتفاح والكريات الملونة والشموع الكثيرة. وكان أبوه
 يلقي عليهم موعظة عيد الميلاد: أنصتوا إلى، أرف إليكم نبأ مفرحاً،
 في هذه الليلة المقدسة، التي ولد فيها المسيح المقدس، أربعون عاماً
 بطولها ظل يلقي عليهم تلك الموعظة، في هذه القرية المهملة المنسية،
 بأقل أجر أخذه قسيس في المقاطعة كلها، وماذا كانت النتيجة؟ هل أفاد
 ذلك بشيء؟ أكثر سهولة أن توقظ الموتى، عن أن توقظ هؤلاء الذين
 يملأون الكنيسة بكسلهم وبلادتهم ورخاوتهم. لقد انهارت الكنيسة،
 وانهار بيت القسيس، مسقط رأسه، وها هي القرية بأكملها في طريقها
 للانهيار، فلم تعد قادرة على أن تمتلك شجرة عيد الميلاد. عندما أنظر
 إليكم، وأنتم هناك بالأسفل في هذا الضوء الكئيب، أرى رؤوسكم

كرؤوس القرنبيط وهى تملأ الحقل. هناك بالأسفل، حيث يلتصق كل منكم بالآخر، جسداً على جسد، رجال ونساء، يتصبب منكم العرق فى الهواء الساخن الذى يهب مع العاصفة. كانوا يستمعون لما يقول وسط موجات متقطعة من الصخب والبكاء والنواح والعويل، كما لم يستمعوا من قبل. فالمتحدث إليهم هو واحد منهم. القس العجوز بريتاندر سيب وما قاله سيب هو الحقيقة بعينها، والحقيقة مؤلمة، حارقة، أكثر من نار جهنم. يودون أن يطردوا سيب من على المنبر، أن يضربوه، أن يشنقوه، لكن الحق كل الحق معه، فهم بالفعل كسالى، بلداء، يعلوهم الصدا. ذات يوم، كانوا رجالاً مدهشين، قالها وهو على المنبر المتداعى. لقد أبادوا النمساويين والألمان وكارل الجسور، قطعوهم قطعاً، فصلوا رؤوسهم، ووضعوها على الأسياخ، وغنوا حولهم الأغاني الشعبية. لم يودعوهم السجن، بل ألقوا بأعدائهم دفعة واحدة فى العالم الآخر، أمثال بوربون الصغير، وجيمس الضئيل، وبيل مينيسوتا، وعصابة أولشوفسكى، دفعة واحدة فى العالم الآخر، رغم أنه يشك فى أن الملائكة ستحلق حولهم. كانوا أشراراً قتلوا، لكنه كان يقدروهم أكثر بكثير من أمثالكم الذين هم فى الحضيض، هؤلاء السفلة أبناء الشيطان، كانت حياتهم كلها مقامرات وسرقات ودعارة، كانت حياتهم دائماً فى خطر، ينتظرهم الكرسي الكهربى فى أى لحظة، بينما أنتم هناك فى الأسفل تعانون من البؤس والشفاء طوال حياتكم التعسة. ليس الموضوع هو كلب بريتاندر، سيان، يعيش أو يموت، كما أن الموضوع ليس عذرية إلزى، أن تفقد وسط اللبن المدلوق أو لا تفقد، فلا فرق، فلقد كانت ستفقدُها فى القريب العاجل على أية حال، كما أن الموضوع ليس العمدة، لقد تأخر فى تقديم

شكواه، ولم يصل إلى نتيجة، الموضوع هو الشرف، أن يعرف الآخرون أنه يوجد في رؤوس أهل هذه القرية شيء آخر غير القش، الموضوع هو الكرامة، أن يثبتوا أنهم قوم عنيدون، لا يمكن الضحك عليهم، والسخرية منهم، والاستهزاء بهم على طول الخط. عليكم أن تفكروا بحق السماء!!

لماذا يتظاهرون كما لو أن المنتج خاويًا لا أحد فيه؟ وهم يعلمون أنه مليء بالرجال. ومن هم هؤلاء الرجال؟ لابد وأن يأتي إليهم أحد مثله، الذي أجهز على عائلة بيبيروزي دفعة واحدة بمدفعه الرشاش، حتى يحرك عقولهم وتعرجات أمخاخهم التي صدئت من عدم الاستعمال كموتور قديم. طوال فصل الشتاء، يكون المنتج مليئًا بالقتلة والنصوص، والقوادون، وتجار المخدرات، الذين يشكلون القاعدة الشعبية للعصابات، بالإضافة إلى القادة الكبار أمثال جيمي الفحل، جو ماريجوانا، لينكولن السمين، بيبى هاكمان، شارلى بوتوماك، ستة عشر اسمًا يمكن أن يتجهى حروف أسماءهم، أسماء مشهورة، لها رنين سماوى فى آذان رجال الشرطة، وهم مطمئنون تمامًا، يقضون الشتاء فى المنتج، يمارسون ألعابهم فى المطبخ، ويغيرون وجوههم الشيطانية إلى وجوه ملائكية. لو أنهم هناك فى الأسفل، يمتلكون رؤوسًا أخرى غير رؤوس القرنبيط تلك، لصار المنتج فى هذه الليلة المباركة هو شجرة عيد الميلاد المجيد، التى عليهم أن يشعلوها، كأفخم شيء فى هذا الوادى الكئيب، احتفالاً بعيد ميلاد المسيح. كان الحاضرون يتصببون عرقًا، بينما سيب برنارد يواصل القاء موعظته بحماس من على المنبر، وكان صوت العاصفة

بديلاً عن موسيقى الأرغن، ابتدأت عقولهم تستجيب ببطء وتفهم تدريجياً، وتتخلص من تراخيها وكسلها وتلقى به بعيداً. لقد أفسد المنتج حياة أجدادهم وأجداد أجدادهم، كما أفسد حياة آبائهم وحياتهم وحياة أولادهم وأولاد أولادهم. ذات يوم، منذ زمن ولى، طردوا الغرباء من هذا البلد بالعصى والحجارة، واليوم يتعيشون على ما يجود به الغرباء، البلد كلها بطولها وعرضها تتسول، تعيش على التسول، منذ أن عشن الفقر وانتصر فى المنتج، على يد مجموعة من كبار الأثرياء. والآن، وهم فى هذا الوضع التمس، ترى ماذا هم فاعلون؟ هؤلاء التمس العجزة. كما لو أنهم خونة للوطن، يخفون الروس ويتسترون عليهم. جاءوا بالجيش، يقوده ممثل الحكومة كحاكم للقرية، يتجول فيها كيفما يشاء، هو وجنوده، يفتشون منازل القرية جميعها، حتى التلفزيون لم يدخل القرية حتى الآن، كباقي مقاطعات الوطن. لقد نالهم ما يستحقون، كل ما حدث فى قريتهم يستحقونه، فهم لم يدافعوا عن أنفسهم، ولم ينتقموا من ممثل الحكومة. لقد خجلوا أن يفعلوا ذلك، ومع الخجل يأتى الغضب، ومع الغضب يأتى الكبرياء. لقد أحسوا أنهم وحدة واحدة، شعب واحد، أكثر من شعب، شعب يمتد فى التاريخ، قرية وادى الفوضى تخصصهم، هم الذين يأمرون فيها، إنهم هم أنفسهم منذ قرون، منذ آلاف السنين، منذ بداية العالم، لم تصبهم رخاوة أهل العاصمة. لو أن المنتج قد احترق، فلن يهتم بذلك أحد، قال سيب بريتاندر، حتى الشرطة لن تهتم بالبحث عن السبب، ولا عن التأمين، بل سينبشون فى الرماد وبقايا الحريق، وماذا سوف يجدون؟ البقايا المتفحمة من السفاحين القتلة لينكولن السمين، وشارلى

بونوماك، وبراندى المقدس، وجيمى الفحل، وجو ماريجوانا، وبقايا
جهاذة الإجرام. هذا كثير، ولا يخلو من خطورة بالنسبة لرجال
السياسة ورجال القانون، فقد أصابهم من رذاذ المنتجع ما يكفى، فهم
يعرفون بالتفصيل كل ما يدور هناك، والشرطة لا تريد أن تقف
موقف المتفرج. فجأة توقفت العاصفة. استقرت اللبة المتدلية فى
قاعة الكنيسة. أصبح بإمكانهم رؤية وجوه بعضهم البعض، وهى
تتصعب عرفاً. غمرت الجميع نشوة زائدة بالفرح، يجب أن نضع حداً
لهذا المنتجع، أن ندمره، أن نحرقه، ما كاد سيب بريتاندر ينهى
موعظته "أمين، هليلويا، هوسيانا" حتى انهار المنبر وسقط على
رؤوسهم، فحملوه على أعناقهم كملك إلى مقر المطافى، قام جميع
العاملين بالحانات والمقاهى "السويسرية" و"سلاخانة مورجارتن"
و"الجنرال جويزان" و"عند الأيائل" و"الصخور المدبية"، قام جميع
العاملين بدرجة براميل النبيذ الفارغة إلى الجراج، وملئوها
بالبنزين، ودق ناقوس الهجوم.

هوة عميقة كانت تفصل بين المنتجع وبين الغابة فى وادى
الفوضى، يجرى فيها جدول مياه صغير يفصل القرية عن المنتجع.
على الناحية الأخرى للهوة، كان ميكائيل يقف فى شارع مترب تحت
شجرة صنوبر، ناظراً فى اتجاه المنتجع، يراقب ما يحدث. سمع
صوت الناقوس يقرع ثم يتوقف. أطفئت أضواء القرية. مرت ساعة
من الزمن. يقع المنتجع على الناحية الأخرى من تلك الهوة، كتلة
داكنة مصمتة ببرجيه الاثنين، دون نتوء للخارج، ودون أى مظهر
من مظاهر احتفال عيد الميلاد. اقتربت الساعة من الحادية عشرا

مساءً. أصوات تأتي من بعيد، كتلة داكنة تندفع آتية من أسفل الوادى، صاعدة فى اتجاه المنتجع. تتكاثر النجوم وتتألأ. تتكشف سكة التبانة الرائعة. يسمع صوت ناظر المدرسة وهو ينشد: "مرة ثانية، تتحقق رغبة النجوم: الشرط والقانون، كل الرغبات تجمعت فى إرادة واحدة، لأنه يجب علينا فعل ذلك" كلام سخي، بالنسبة لما يراه ميكائيل يحدث أمامه: فى ضوء النجوم المتألئة، تندفع عربة المطافئ، تفرد الخراطيم وتجهز، وتثبت فى حنفيات المياه، يتم كل ذلك بهدوء بالغ وفى صمت، فقط ظلال تتحرك هنا وهناك.

وعلى عكس احتفال أهل القرية الحزين بلا شجرة عيد ميلاد فى قاعة الكنيسة، تصدرت قاعة المنتجع شجرة عيد ميلاد ضخمة، تكاد أن تقع من ثقل الزينات التى علقت عليها. لم تكن مزينة بالزينات الشائعة بين باقى الخلق، بل كانت مزينة بالمسدسات والرشاشات التى ثبتت فيها الشمعات المشتعلة، وقام بيبي هاكمان بتعليق بعض القنابل اليدوية بدلاً من الكريات الزجاجية الملونة. كان يجلس حول الشجرة فى المقاعد الوثيرة وعلى الأرائك الجلدية المريحة كل من فون كوكسن، وأوسكار وادجار، ورجالات نياجارا، والوردة الحمراء وشارلى بوتوماك فى انتظار موسى ميلكر، الذى انسحب منذ فترة ليلعب البوكر فى الصالون. كان الجو كثيباً ومشحوناً بالخطر. وكانت القاعة ممثلة بالدخان، الكل يدخل بعصبية، لم يجرؤ فانتسنريد أن يفتح النوافذ للتهوية، فقريباً سوف ينشد فرونتن، سوف ينشد من أشعار جوته. حتى الآن، لم يقابل جيمى الفحل جو ماريجوانا بعد، كذلك اختفى دوك الطبيب. كان بيبي هاكمان متأكداً أن موسى ميلكر

أحد جواسيس مجلس الإدارة، وأنه قد باعهم للأب الكبير، وأنه قد حان الوقت لتشكيل مجلس إدارة جديد، فمنذ فترة وهو يتساءل عن جدوى هذا المنتج، ولماذا يقوم هذا الطبيب بإجراء تلك العمليات، لقد عمل الكثير من أجل جو ماريجوانا، والآن يأتي الدور على طائر آلاسكا فيغرفة الغسيل. لم يكن الجميع سيء النية مثل هاكمان، بل كانوا يعتقدون أن موسى ميلكر قد أتى برسالة سرية من الأب الكبير، سوف يضطره فون كوكسن بالإعلان عنها في موعظة عيد الميلاد المجيد، والكشف عن خطط الأب الكبير. اعتقد الكونت أنه قد أخطأ مرة أخرى، كان عليه أن يتحدث بالتليفون مع زيوربخ، لكن شارع مينرفا ٣٣ لم يرد، بل جاءه صوت يقول، أن الرقم خارج نطاق الخدمة، فكلّف صديقاً له صاحب جاليري آخر في زيوربخ، فذهب إلى شارع مينرفا، ثم عاد وطلبه ليخبره أن هذا الرقم غير موجود أصلاً. وأخيراً جاء موسى ميلكر، وقف خلف الفوتيل، وضع يديه على مسنده، تأمل المجموعة فرداً فرداً، رمش بعينه تحت حواجه الكثّة، وابتسم بشفتيه المكتنزتين. في موسم الصيف، كثيراً ما كان ينتابه بعد موعظة الصباح، شعور غريب معتم، يزعجه كثيراً ويثير مخاوفه وقلقه، وينعكس بدوره على مستمعيه من الأرامل الثريات، ومديري مجالس الإدارات وأصحاب الشركات المتعددة الجنسية... إلخ مفسداً عليهم فرحة الفقر ومتعته، أما هذه المرة فيبدو رجلاً آخر، يشع مرحاً وبهجة، إنساناً بسيطاً فرحاً، مشتاقاً لأن يؤدي رسالته

"لا تخافوا، انظروا، جنّت ومعى فرحة كبرى، بشرى لجموع البشر، تقول رسالة عيد الميلاد المجيد، الآية العاشرة من السفر الثاني

من إنجيل لوقا، جموع البشر، يعنى أنتم أيضاً، أنتم أيضاً تتدرجون تحت جموع البشر، أنتم السفاحون، المجرمون، القتلة، واستمر فى تعديد أوصافهم دون اعتبار لما يمكن أن تسبب لهم هذه الموعظة من صدمة، فهم يرون فى أنفسهم أنهم رجال أعمال، يستخدمون طرقاً غير تقليدية، هذا كل ما فى الأمر.

وحده، ابتسم فون كوكسن، لقد قال موسى ميلكر، ما لم يجرؤ الكونت نفسه على قوله، وسمى حثالة البشر هؤلاء بأسمائهم.

"ولماذا الفرحة؟ لأن الأب الكبير مد يده الجبارة فى العدم، من ناقص ٢٧٣ درجة تحت الصفر، من العدم وخلقكم"

كان موسى فخوراً بتماسكه وتوازنه، بينما شارلى بوتوماك يعتقد، أنه ربما يخطط الأب الكبير لشيء جديد فى آلاسكا.

"فعندما يدخل الفقراء والجوعى الجنة - واصل موسى موعظته - فلأن الأب الكبير يشفق على الفقراء والمساكين، أما الأغنياء، فيدخلهم الجنة إمعاناً فى كرمه، لذلك كونوا أنتم الوحيدون الذين تستحقون الجنة، كونوا أصدقاءه، دعوه يفخر بكم، أنتم أغنية الشكر التى سوف يترنم بها"

المررة الأولى التى يمنحنا فيها الأب الكبير هدية عيد الميلاد، فكر لينكولن السمين مبتهجاً.

"ليس سمو العقل البشرى - واصل موسى - ولا الأفكار النبيلة، هى التى يرى فيها الأب الكبير نفسه، فهو يمكنه أن يصل إليها بنفسه، لكنه يرى نفسه فيكم، فيكم أنتم، أنتم المجرمون، حثالة البشر.

إنه يحبكم كما أنتم، مثلما تحبونه كما هو. هو للفقراء وللأغنياء، كذلك لأصحاب الحقوق، وللذين يتهربون من الضرائب، ويغسلون الأموال، ويزورون الحقائق، ويمارسون السياسة في ظروف صعبة واستثنائية، هو دائماً هناك، العجوز الطيب العزيز، الذى يغض النظر، لكنه بالنسبة لكم هو الرئيس الذى لا يرحم. غضبه شديد حارق، شفاته قاسيتان ولسانه نار حامية".

كنت أعرف ذلك، فكر بيل مينيسوتا، كان بيل هاكمان متهوراً دائماً، يبدو أن هذه هي آخر ليلة بالنسبة له.

"ما جاء الأب الكبير ليلقى سلاماً، بل سيفاً. هو، الذى يلتهم كل ما خلقه من نباتات وحيوانات وبشر، يطلق العواصف والأعاصير، ويأمر الزلازل أن تتحرك" قال موسى صارخاً "اختاركم كأدوات وأمركم بأن تبيدوا الكنعانيين والحيثيين والفريشيين والأرمن".

يا إلهى، فكر ببى هاكمان، ترى كم عدد مجالس الإدارات الآن، وفكر براندى المقدس، ربما ينوى الأب الكبير أن يدخل سوق تجارة السلاح.

واصل موسى ميلكر حديثه دون توقف، كما لو أنه بركان مكتوم وانفجر، ممزقاً فى طريقه كل شىء، ناسفاً مقدسات الثراء والأثرياء، محولاً إياها إلى رماد، تتأثر بعضه عليه فلوته، لكنه ظل به مسحة من دين.

"عندما يكون الفقراء كسالى لحد أنهم لا يودون أن يكونوا أغنياء عن طريق الجرائم الشريفة - واصل موسى موعظته - والأغنياء فى

عطلتهم، يتناولون الفقر فى أطباق من صفيح، حتى يتمكنوا من أن ينفذوا من سم إبرة الرحمة والبركات، تكون المسيحية أجرهم. تعاملوا معها، كما أتعامل معها، مسيحية شخصية عائلية. إننى واحد منكم، ليس قسيس الأثرياء، بل قسيس المجرمين، وهكذا لا يمكن أن يكون الأب الكبير إلا مجرم هو الآخر. زوجتى الأولى أجهزت عليها بشجرة صنوبر، وزوجتى الثانية ألقيتها فى نهر النيل، والأحد الماضى حشوت زوجتى الثالثة بالشوكولاتة حتى ماتت. وباسم الأب الكبير، كن ثلاثتهن ثريات، حتى أننى اقترنت بهن، وكن ثلاثتهن طبيبات، حتى أننى قتلتهن بمنتهى السهولة"

منذ فترة لم يعد أحد يستمع إليه. قاموا بتهريب طائر آلاسكا من غرفة الغسيل عن طريق السرداب السرى تحت الأرض. كان الرباط يغطى وجهه كله، ما عدا عينيه، ذهب وألقى بنفسه على الأريكة. لقد سمع من بعيد: الحيثيين والكنعانيين.

الآن تبدأ حرب العصابات، قال لنفسه طائر آلاسكا. راود الشك جيمى الفحل، فنزع الرباط من على وجه طائر آلاسكا، الذى نظر إلى جيمى الفحل واستغرق فى النوم.

"فعلاً" قال بيبى هاكمان "جو ماريجوانا يشبهك تماماً يا جيمى"

"هذا ليس جو ماريجوانا" قال جيمى الفحل معتدلاً فى مقعده "إنه طائر آلاسكا، الآن هناك ثلاثة جيمى فحل" قفز واقفاً بعنف، مما أدى بالمقعد لأن ينقلب.

"دوك دوك، أين الطبيب؟" نادى جيمى الفحل صارخاً "لم أره منذ

فترة طويلة، إنه يجعل الجميع يشبهوننى، مجلس إدارة بأكمله كلهم أنا جيمى الفحل. لماذا؟ ربما من أجل حل المجلس! من الذى أمره بذلك؟ الأب الكبير؟ ومن يكون هذا الأب الكبير؟ لا أحد يعرف كيف يبدو، لم يره أحد، وهل هو موجود أصلاً؟ على الأقل يوجد إنسان نياندرتال ذو الشعر المجعد، إنه مجرد هاو، وبالأب الكبير لم يكن يقصد سوى الرب".

هب الجميع واقفين، تناول البعض الأسلحة من على شجرة عيد الميلاد، وأمسك البعض الآخر بموسى ميلكر، كان بيبي هاكمان أول من أمسك به، الآن يضغط على رقبتة، فى نفس اللحظة التى وجدوا برميل نبيذ يتدحرج من بوابة المنتجع داخل القاعة، وعندما أدرك جيمى الفحل حقيقة ما يحدث، اندفع خارجاً من البوابة، متجنباً البرميل الثانى الذى يتدحرج خلف الأول، تسمر أمام البوابة فى مواجهة نفسه، جو ماريجوانا مصوباً مسدساً تجاهه بيد مهزوزة، وينظرة كلها كراهية، وفجأة دوى الانفجار خلف ظهره، فانبطح مع صورته المطابقة على الأرض، فى نفس اللحظة التى أحس فيها، وهو منبطح على جو ماريجوانا، بأسنان تتغرز فى مؤخرته بغلٍ ورغبة فى الانتقام، بينما تناولت السنة اللهب وابتلعتة هو وجو ماريجوانا، وإذا بصوت العمدة يأتى من بعيد "اتركه يا مانى، مانى اتركه! عندما أرى الكلب يعض أحداً مرة أخرى، أتذكر ما حدث وانزعج". انعكست الأضواء الباهرة على السيارات التى تتدافع منها البراميل متدحرجة، يجرى خلفها رجال المطافئ فى زيهام الأحمر الأسود الأجرب بخوذاتهم النحاسية، يصيحون بإيقاع منتظم، انفجار هائل هز الليل هزاً، تتبعه انفجارات عديدة، يندفع الشرر فى اتجاه السماء،

فيغطي على ضوء النجوم، اشتعل المنتجع بأكمله والتهمة الحريق، كانت تحيطه موتورات مضخات المياه، والجرارات، والفلاحون أهل القرية، بأيديهم الفؤوس والشوكات والبلطات التي تستخدم فى قطع الأشجار، اندفع الكلب من البوابة وقد أمسكت به النيران، تقلب على الأرض عدة مرات، حاول بعض الرجال الخروج من البوابة، فقبلوا بتيارات المياه القوية المندفعة من الخرطوم، فاضطروا إلى أن يتراجعوا للداخل، فى الداخل ما زالت الانفجارات مستمرة من مخزن السلاح، النسوة تساعدن بحماس كبير فى تشغيل المضخات، الأرملة هونجربولر تفرغ غضبها وغيظها من الخطابات التى لم يرد عليها، ورجال المطافئ يرشون ويرشون، كان تيار المياه المندفعة قويًا، لدرجة أنه كان يلقي بالرجال كتلاً فوق بعضها البعض ثانية فى النار، تلونت الغابة والسماء بلون جهنم، حاول أحدهم أن يهرب، فخرج يجرى بملابسه المشتعلة، فقابله أحد الفلاحين بضربة فأس، ألقت به على الأرض، وهو ما زال مشتعلًا، ثلاثة فلاحون آخرون رفعوا الرجل المشتعل على شوكاتهم وهو يصرخ، وألقوا به ثانية فى نار المنتجع، ابتدأ المنتجع فى الانهيار، تفرق الفلاحون والفلاحات، اندفع الشرطي لوستفايلر بسيارته الجيب وهو فى حالة سكر بين خلال بوابة المنتجع، التى سقطت فوق رأسه، فاجتذبه اللهب إلى السرداب تحت الأرض بمبنى الملحق، وخرج من الناحية الأخرى شعلة ملتهبة. الآن، ابتدأت الغابة فى الاشتعال، فقد كانت الأشجار فى حالة جفاف شديد نتيجة العاصفة الساخنة، فانتشرت النار بسهولة فى الغابة. تراجع الفلاحون للخلف. فى مكان ما خلف النيران أو داخل النيران، يسمع صوت ناظر المدرسة فرونتن منشدًا: "ها هو الشرر يتطاير

كرمال ذهبية تتناثر فى الجو، انظر: هناك فى الأعلى يشتعل الحائط
الحجرى ويتوهج". وانهار البرج الغربى. فى أحد الممرات على
سقف المنتجع، كان كل من فون كوكسن وأوسكار وادجار يطلبون
النجدة. اندفعت النار من أسفل الممرات بالبرج الغربى. كان موسى
ميلكر يجلس على الأرض فى ركن أحد الغرف، عاقداً يديه على
ركبتيه، وبجواره مخطوطته (ثمن النعمة) والساعة ذات المؤشر
الواحد الواقف على يوم عيد ميلاده. أمامه طاولة حولها ثلاثة كراسى
وخلفه النافذة. على المائدة، كيس بن Kaffee-Oeteker Fr 10. 15
فى ركن الغرفة المقابل يوجد كرسى هزاز، ما زال يتأرجح. شخص
ما كان جالساً عليه. كانت الغرفة العلوية التى لا سقف لها، مضئة
بشكل مبهر من نيران الشرفة المشتعلة. جاء موسى لتنفيذ الحكم،
الذى لم يصدره أحد. ليس بخصوص جرائم القتل التى ارتكبها. لم
تفرق النيران فى التهام ما يصادفها، فسوف تجهز فى النهاية على كل
شئ. كان يهمهم أن يبحث عن منطوق الحكم عليه هو شخصياً وعلى
الأب الكبير كذلك. ابتداءً ذلك الصراع أثناء إقامته فى ملجأ بعثة
التبشير. ذهب إلى سانت كريشونا، مع صورة للرب الذى تخيله فى
شبابه، حيث قام بتشكيله من جزء حالم وجزء واقعى، من أب
كاثوليكي مجهول، تسلسل ذات ليلة ربيعية بجوربه المرتوق إلى أمه
البروتستانتية المجهولة، بالإضافة إلى أبويه اللذان تنبأه وقاما
بتربيته، كانا يضربانه بإفراط، مما جعله يعتقد أن هذا الضرب كان
بمثابة حماية كبيرة ورائعة له. انفجرت سيارة المطافئ، تزلزل البرج
الشرقى. ثم جاءت الشهوة العارمة المكبوتة، والتى تفجرت فى موسى
الشاب، والتى أعزاها إلى الرب: كانت شهوته الشخصية، ما هى إلا

انعكاس للشهوة التى لولاها ما كان قد خلق العالم، وربما قد خلق العالم، من أجل أن يرى نشوءه المتعدد اللامتناهى، كما يرى تدمير ما قد خلق. انهيار المنتج كلية، وانتهى معه فون كوكسن وأوسكار وادجار فى كتل النار المتساقطة. سمع موسى ميلكر صرخاتهم. الخلق وتدمير ما خلق كلحظة انتشاء. فى ملجأ البعثة التبشيرية، تعرف موسى ميلكر على رب آخر، رب علم اللاهوت، بصفات مثل: الذى لا يموت، الخالد، القادر، القوى، الذى يحيط بكل شىء، ويعرف كل شىء، صفات ونعوت تدل كلها على الكمال والاكتمال، لدرجة تجعله غير قابل للتصور. البرج الشرقى وحده هو الذى تبقى. سقطت الشرفة المحترقة وهى تشتعل حتى تفحمت، بينما ابتدأت شرفة أعلى البرج فى الاشتعال. كان موسى ميلكر جزءاً من شهوة الرب، أما الآن فقد انفصل عنه. صار الرب مجرد فكرة. الكرسي الهزاز ما زال يتأرجح. لم يتبق فى وعى موسى ميلكر سوى قبحه وشهوته، لم يتبق سوى جهنم. اندفع لسان من اللهب بين موسى ميلكر والطاولة ذات الثلاثة كراسى، اندفع إلى أعلى وأمسك بالسقف. بحث موسى ميلكر عن إنسان، ابن الرب. مرة ثانية، يسخر منه علم اللاهوت: إنه يجعل من ابن الرب إنساناً مثاليًا. لم يستبعد العاهرات والقوادين، بل كان يستريح إليهم، ويستمتع إلى قفشاتهم ونكاتهم البذيئة ويضحك عليها، لم يؤخذ مأخذ الجد قط كإنسان، بل كإله يلعب دور البشر، كان إلهاً لا يسمح له بأن يختلط بالنساء. أدخنة سوداء تتصاعد من أرضية الغرفة، فلم تعد ترى الطاولة ولا الكراسى المحترقة. أصبح ابن الرب شيئاً مجرداً، أكثر تجريداً من الأب، يصنعون منه لعبة من الشوكولاتة على الصليب. "انزل!" صاح موسى ميلكر.

"الرب الذى يتركهم يقومون بصلبه، يمكنه أن يكون ممثلاً فى المسرح، فى أوبرا مارجاو أو فى هوليوود، فاللصان أكثر مصداقية منك، فهما بشر، سيقومون بصلبهما" حول موسى ميلكر، تسمع طقطقات وفرقعات وقرقعات وولولات وصراخ الفلاحين واللصوص. خلال كل تلك الأساطير وقصص العجائب، تعرف موسى ميلكر على شخص يهودى من غاليلى، ابن نجار، يرتدى خرقة ممزقة، عارى القدمين، إنسان، إنسان يشبهه، سمين مثله، له شفتان غليظتان وشعر مجعد مثله، خطاء مثله، رغبته الجارفة للثراء، وخجله من طريق الجريمة الذى كان عليه أن يسلكه، حتى يصير غنياً، سوف يقول له، لا تخلق لنفسك رباً، حتى لا تحتاج لأن تخلق جهنم لنفسك. الإنسان يحتاج للإنسان وليس للرب، فالإنسان وحده هو القادر على فهمه. احترق الحائط بالنافذة، كبساط مشتعل من نار. لم ينزل من على الصليب، بل صار الرب ذى اللحية، الأب الكبير، هكذا حل موسى ميلكر انقسامه وانشطاره: موسى الفقير المسكين يخلصه ملكوت السماء، وموسى الغنى من بركات الرب ونعمته. اقتحمت الأراميل صاحبات الملايين موسى ميلكر بعالمه اللاهوتى وأقنعته بدلق أوانى البول، وطبخ وجبات غير شهية وأن يرتع معهن فى الفقر. تحولت الطاولة والكراسى الآن إلى كومة من الرماد يعلوها كيس البن. وعندما عرف هذا الصباح، كيف يساء استخدام (بيت الفقر)، وكيف اضطره الكونت أن يحتفل بعيد الميلاد المجيد مع هؤلاء المجرمين العتاة، وأنه فى حقيقة الأمر هو أيضاً مجرم، اتضح له سخف وعبثية علم لاهوته، وسخف وعبثية علم اللاهوت بشكل عام: إنه يخدع نفسه بنفسه، يقع فى فخ مصطلحاته، يعتقد أن الرب كامل والعالم غير

كامل، مفهوم تجريدى خالص، لا علاقة له بالحقبة، وعندما وصل إلى ذلك، وصل إلى أن رب شابه كان أيضاً مجرد فكرة، الرب الشهوانى، الرب الذى يحب ما يخلق ولا يعرف قيمته، خلقه على سبيل المتعة الحرة، ومن أجل المتعة الحرة يدمره، مثل كل ما يخلقه، يخلقه ثم يدمره. ما زالت أرضية الغرفة متماسكة، كذلك ما زال الكرسي الهزاز هناك، أحياناً كان يهتز بشدة بتأثير اضطرام النار من حوله. تذكر موسى ميلكر لحظة المتعة التى عاشها مع الفتاة تحت شجرة الصفصاف على شاطئ جدول جرين، كانت لحظة توحد مع متعة الرب، وكان كل شيء على ما يرام، الفقير والغنى والمجرم، الخير والشر، كل ذلك انبثق فى لحظة خلق واحدة. فوّه كان البرج يحترق، وتتطلق منه ألسنة اللهب، فكرة واحدة لا غير تسيطر عليه، الأب الكبير، الفكرة، الخلق. لقد قرأ ذات مرة ما قاله أحد علماء الفيزياء، لو أن الحقيقة تكلمت، لما كانت فى شكل معادلات فيزيائية، بل ستغنى لنا أغنية للأطفال، وهكذا فكر، لو أن الرب أرانا نفسه، لكان شيئاً غير معقول، لا يصدق، مثل كيس البن Kaffee-Oeteker Fr. 10. 15. أو مثل الكرسي الهزاز، وعندما اخترقت النيران أرضية الغرفة ونفذت خلالها، أيقن موسى ميلكر أنه سوف يصيبه الجنون، لو أن الرب كان من اختلاقه، عندئذ سيكون العالم أيضاً من اختلاقه، وجنباً إلى جنب مع الرب الذى اختلقه والعالم الذى اختلقه هو، يوجد أيضاً الآلهة الأخرى والعوالم الأخرى، التى اختلقها أناس آخرون، العالم ينمو بشكل مستمر ويتراكم فى طبقات متداخلة حول مخ العالم، الذى يتكون بدوره من خلايا عصبية فى طبقات متداخلة، تتكون كل واحدة منها من أنا واحدة، هذا الكون بمجراته المتعددة وشموسه

وكواكبه السيارة، التي يحتاجها لدفع عملية التطور في مسارها، من الخلية الواحدة، إلى الخلية المتعددة، فالرخويات فالفقريات حتى تصل إلى الإنسان، الذى يتخيل الكون فى دوائر مدهشة حول رب واحد، رب له مئات من الرؤوس أو آلاف من الأقدام، رب له أنوف عديدة أو رب من خشب أو من ذهب، أو إلهة ذات أنداء عديدة، آلهة كثيرة مثل كواكب الكون، وسطهم الأب الكبير تبع موسى ميلكر، الذى يختلف فى مظهره عما تخيله مكتشفه، رب واحد يقولون عنه أنه خالد، يعيش فى العالم كله، الذى تخيله موسى ميلكر، وكل الآلهة والعوالم التى تخيلها الآخرون. وعندما وصل موسى ميلكر فى تفكيره لهذا الحد، ابتداءً فى الضحك. ثم احترق، واحترقت بجواره مخطوطة (ثمن النعمة) المهداة إلى سيسيلي ميلكر رويشلتن، وانصهرت الساعة، واحترق الكرسي الهزاز، والبن، وسقط كل شيء فى القاع.

أمام بيت العمدة، يرقد الكلب، بينما تقف إلزي بجواره، تنتظر إلى الغابة وهى تحترق، وإلى بقايا الحائط المشتعل على حافة الوادى، الذى يبتلع أهل القرية وما زال يبتلعهم. ابتسمت. عيد الميلاد، همست لنفسها. يثب من الفرحة، الطفل فى بطنها.

Neu Chatel, 19. 4. 89 Friedrich Durrenmatt
Cairo , El Haram 26. 11. 2004
Youssri Khamis
3. 2. 2005
3. 3.
27. 3.2005/ 16.5.2005

المؤلف في سطور

فريدريش دورينمات Friedrich Dürrenmatt

(١٩٢١ - ١٩٩٠)

- من مواليد قرية كولونفنجن بإقليم إيمينتال الشهير بمنتجات الألبان بسويسرا.
- كان أبوه قس القرية.
- يعتبر من أهم كتاب المسرح على مستوى العالم فى القرن العشرين.
- كتب حوالى ١٨ مسرحية، أكثرها شهرة مسرحية (زيارة السيدة العجوز - ١٩٥٥) التى قدمت على أغلب مسارح العالم.
- ترجمت أغلب مسرحياته للعربية، وقدم العديد منها على خشبة المسرح المصرى.
- كما كتب العديد من الدراما الإذاعية.
- كتب ٩ روايات (منهما اثنان لم يكتملا) آخرها رواية (وادی الفوضى - ١٩٨٩).
- كتب العديد من القصص القصيرة.
- كتب العديد من الدراسات النقدية فى مجال المسرح والفلسفة.
- كما كتب كتابا للأطفال.
- لم يتوقف عن ممارسة الرسم طوال حياته.

المترجم فى سطور

يسرى خميس

- من مواليد قرية دنوشر .
- أحد مؤسسى جماعة (جاليرى ٦٨) الأدبية.
- له أربع مجموعات شعرية (قبل سقوط الأمطار ١٩٨٤، التمساح والوردة ١٩٩٣، طريق الحرير ٢٠٠٢، أساطير مائية ٢٠٠٣).
- ترجم العديد من الأدب الألمانى المعاصر، شعراً وقصة.
- كما ترجم العديد من المسرح الألمانى المعاصر: (بريخت، دورينمات وآخرون) كان من أهمها تقديم (بيتر فايس) كأحد مؤسسى تيار "المسرح التسجيلى".
- كتب أعمالاً درامية متعددة للطفل، أكثرها شهرة مسلسل (بوجى وطمطم) التلفزيونى مع الكاتب شوقى خميس.
- منشغلاً منذ سنوات مع الفنان هبة عنايت بانجاز أطلس (طيور بلاد العرب).

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

- | | | |
|---------------------------------------|------------------------------|--|
| أحمد درويش | جون كوين | ١- اللغة العليا |
| أحمد فؤاد بليغ | ك. مادهو باتنيكار | ٢- الوثنية والإسلام (ط١) |
| شوقي جلال | جورج جيمس | ٣- التراث المسروق |
| أحمد الحضري | انجا كاريتنيكوف | ٤- كيف تتم كتابة السيناريو |
| محمد علاء الدين منصور | إسماعيل قصبح | ٥- ثريا في غيبوبة |
| سعد مصلول ووفاء كامل فايد | ميلكا إفيتش | ٦- اتجاهات البحث اللساني |
| يوسف الأنطكي | لوسيان غولدمان | ٧- العلوم الإنسانية والفلسفة |
| مصطفى ماهر | ماكس فريش | ٨- مشعل الحرائق |
| محمود محمد عاشور | أندرو. س. جودي | ٩- التفجيرات البيئية |
| محمد متمم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي | چيرار جينيت | ١٠- خطاب الحكاية |
| هناء عبد الفتاح | فيسوافا شيمبوريسكا | ١١- مختارات شعرية |
| أحمد محمود | ديفيد براونستون وأيرين فرانك | ١٢- طريق الحرير |
| عبد الوهاب علوب | روبرتسن سميث | ١٣- ديانة الساميين |
| حسن المودن | جان بيلمان نويل | ١٤- التحليل النفسي للأدب |
| أشرف رفيق عفيفي | إلوارد لوسي سميث | ١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥ |
| يشارفد أحمد عثمان | مارتن برنال | ١٦- أثنية السوداء (ج١) |
| محمد مصطفى بنوي | فيليب لاركين | ١٧- مختارات شعرية |
| طلعت شاهين | مختارات | ١٨- الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية |
| نديم عطية | جورج سفيريس | ١٩- الأعمال الشعرية الكاملة |
| يمنى طريف الخولي وبنوي عبد الفتاح | ج. ج. كراوثر | ٢٠- قصة العلم |
| ماجدة العناني | صمد بهرنجي | ٢١- خوخة وألف خوخة وقصص أخرى |
| سيد أحمد علي الناصري | جون أنتيس | ٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين |
| سميد توفيق | هانز جيورج جادامر | ٢٣- تجلي الجميل |
| بكر عباس | باتريك بارندر | ٢٤- ظلال المستقبل |
| إبراهيم الدسوقي شتا | مولانا جلال الدين الرومي | ٢٥- مثنوى |
| أحمد محمد حسين هيكل | محمد حسين هيكل | ٢٦- دين مصر العام |
| بإشراف: جابر عصفور | مجموعة من المؤلفين | ٢٧- التنوع البشري الخلاق |
| منى أبو سنة | جون لوك | ٢٨- رسالة في التسامح |
| بدر الديب | جيمس ب. كارس | ٢٩- الموت والوجود |
| أحمد فؤاد بليغ | ك. مادهو باتنيكار | ٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢) |
| عبد الستار الطلوجي وعبد الوهاب علوب | جان سوفاجيه - كلود كاين | ٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامي |
| مصطفى إبراهيم فهمي | ديفيد روب | ٣٢- الانقراض |
| أحمد فؤاد بليغ | أ. ج. هويكنز | ٣٣- التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية |
| حصه إبراهيم المنيف | روجر آلن | ٣٤- الرواية العربية |
| خليل كلفت | بول ب. نيكسون | ٣٥- الأسطورة والحداثة |
| حياة جاسم محمد | والاس مارتن | ٣٦- نظريات السرد الحديثة |



هذه الرواية قد اختلف عليها النقاد اختلافاً شديداً، فمنهم من يرى أنها رواية تعتمد على الرمز الذي يطرح في شكل فكرة مجردة تطمح إلى تفسير أحداث واقعية، يعرض من خلالها فوضى العالم الذي نعيشه، ومنهم من يرى أنها رواية إنشائية باستثناء بعض الصفحات الأخيرة، ويرى كاتبها أنها رواية شديدة الأهمية، وربما أهم ما كتب، وأكثر ما كتب مرحاً، لكنها خبيثة في مرحها، ويجب أن تقرأ ككوميديا وليس كتراجيديا.